المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[١].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[٢].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[٣].

أما بعد، فإن خير ما صرفت الأوقات، وأفنيت الأعمار في تعلمه وتعليمه، كتاب الله، وقد أدرك المسلمون أهمية الكتاب العظيم، فألفوا المؤلفات الكثيرة في تفسيره، وبيان معانيه، وفي قراءته وتجويده، ولم يزل علماء الإسلام شديدي العناية به تعلماً وتعليماً، وتأليفاً، وقد بدا لي أن أساهم في خدمة كتاب الله تعالى بالكتابة في جزئية لم أر من أفردها بتأليف، مع أنها حقيقة بالعناية جديرة بالبيان، وهي في الحقيقة جزء من تفسير القرآن بالقرآن، وقد أسميتها (ما اتصل به بيانه من القرآن) والمراد به ما جاء تفسيره بعده مباشرةً سواء كان في الآية نفسها أو في آية مستقلة بعدها، وسأخرج هذا الموضوع إن شاء الله –تعالى– في بحثين منفصلين.

الأول: من أول القرآن إلى آخر سورة النحل. وهو هذا البحث.

---

(١) آل عمران: ١٠٢ .

(٢) النساء: ١ .

(٣) الأحزاب ٧٠-٧١ .

والثاني: من أول سورة الإسراء إلى آخر القرآن الكريم.

أسأل الله تعالى التوفيق والسداد إنه جواد كريم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

• أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

من أهم أسباب كتابتي في هذا الموضوع ما يأتي:

١– أنه متعلق بكتاب الله –عزوجل– وخدمة له ولطلابه المعتنين به.

٢– أن تفسير القرآن بالقرآن من أجل التفاسير وأحقها بالعناية، والبيان إذ لا أعلم من الله بالمراد من كلامه.

٣– أنني لم أر من أفرد هذا الموضوع بتأليف مستقل، بل إن الذين ألفوا في تفسير القرآن بالقرآن قلما يتعرضون له، مع أنه موضوع حقيق بالبيان والإخراج.

• المنهج المتبع في إخراج البحث.

١– قراءة كتاب الله –سبحانه– قراءة متأنية والوقوف عند كل آية تحتمل أن تكون داخلة في البحث، ثم النظر في تفسيرها.

٢– استقراء عدد كبير من كتب التفسير وجمع المادة العلمية منها.

٣– ترتيب الآيات المفسرة حسب ترتيب سور القرآن العظيم وآياته.

٤– الاكتفاء بكتابة الجزء المفسر من الآية، خوفاً من الإطالة.

٥– ذكر اسم السورة، ورقم الآية أمام الجزء المفسر.

٦– إتباع ذلك ببيانه حيث أقول–مثلاً–: بينه قوله–سبحانه–: ثم أذكر الآية وأبين المراد بياناً موجزاً.

٧– أتبع ذلك بأقوال المفسرين، في العلاقة بين الآية المبينة والآية التي تبينها.

٨- أبين ما يحتاج إلى بيان من الآيتين في حدود الحاجة بدون إسهاب.

٩- عزوت الآيات إلى سورها.

١٠- خرجت الأحاديث من مصادرها وحاولت ذكر درجة الحديث ما استطعت.

١١- وثقت القراءات المذكورة في البحث من كتب القراءات المعتمدة، مع الإشارة إلى كونها متواترة أو شاذة.

١٢- وثقت أقوال العلماء من مؤلفاتهم بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة.

١٣- ترجمت لجميع الأعلام ترجمة موجزة خوفاً من إثقال الحواشي وإطالة البحث.

١٤- ذكر مصادر الأبيات الشعرية مع محاولة عزوها إلى قائليها.

١٥- ذكر ما يترجح عندي في المسائل المتعلقة بالآية، وإذا لم يتبين لي شيء أكتفي بسرد أقوال العلماء، وهذا قليل، والمنة لله.

• خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وأصل، وخاتمة وفهارس.

أولاً: المقدمة.

ثانياً: أصل الموضوع .

وفيه الكلام على جميع الآيات التي اتصل بها بيانها من أول القرآن إلى آخر سورة النحل، مرتبة حسب ترتيب سور القرآن وآياته.

ثالثاً: الخاتمة. وقد ذكرت فيها أهم النتائج التي استنتجتها من خلال الكتابة في هذا البحث.

رابعاً: الفهارس.

١ – قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ الفاتحة: ٦

بينه قوله سبحانه: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾[١]. والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في قوله –تعالى–: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[٢].

والمغضوب عليهم هم اليهود، لأن ذلك أخص أوصافهم، كما قال تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل﴾[٣].

والضالون هم النصارى، فالضلال أوضح أوصافهم، كما قال تعالى: ﴿قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾[٤].

قال ابن جرير[٥]: وقوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ إبانة عن الصراط المستقيم، أيُّ الصراط هو؟ إذ كان كل طريق من طرق الحق صراطاً مستقيماً. فقيل لمحمد ﷺ: قل –يامحمد– : اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك، من ملائكتك، وأنبيائك، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وذلك نظير ما قال ربنا – جل ثناؤه– في تنْزيله: ﴿ولو أنهم فعلوا ما

(١) الفاتحة: ٧

(٢) النساء: ٦٩

(٣) المائدة: ٦٠

(٤) المائدة: ٧٧

(٥) أبوجعفر، محمد بن جرير بن يزيد، الطبري، المؤرخ المشهور، والمفسر الكبير، صاحب العلم الغزير، والتحقيق البديع، مات سنة ٣١٠هـ. انظر السير: ٢٦٧/١٤ والأعلام: ٩٦/٦ .

يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً . وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً . ولهديناهم صراطاً مستقيماً .ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[١]﴾[٢]أ.هـ.

٢– قوله تعالى: ﴿هدىً للمتقين﴾ البقرة: ٢

بينه – جل ثناؤه في الآيتين اللتين بعده، وهما قوله –سبحانه– ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾ وقد اختلف المفسرون في الموصوف بهذه الصفات، هل هو واحد أو متعدد؟ على ثلاثة أقوال.

الأول: أن الموصوف كل مؤمن، مؤمنو العرب، ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم، قاله مجاهد[٣]، وأبوالعالية[٤]، والربيع بن أنس[٥]،وقتادة[٦][٧] ورجحه

(١) النساء: ٦٦-٦٩ .

(٢) تفسيره: ١/١٧٧-١٧٨

(٣) أبوالحجاج، مجاهد بن جبر، مولى قيس بن السائب المخزومي، كان قارئاً، مفسراً مات سنة ٢٠٤هـ. انظر: طبقات بن سعد ٥/٤٦٦، والسير: ٤/٤٤٩ .

(٤) رفيع، بن مهران، الرياحي، البصري، إمام، مقرئ حافظ، مفسر، كان مولى لامرأة من بني رياح، أدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة الصديق –رضي الله عنه.
انظر: طبقات بن سعد: ٧/١١٢. والسير: ٤/٢٠٧.

(٥) هو الربيع بن أنس، بن زياد، البكري، الخرساني، ويقال: البصري، مات سنة ١٣٩هـ.
انظر: السير: ٦/١٦٩. وتهذيب التهذيب: ٣/٢٠٧.

(٦) أبوالخطاب: قتادة، بن دعامة، بن عزيز، السدوسي، البصري، مفسر، حافظ، مات سنة ١١٨هـ. انظر السير: ٥/٢٦٩. والأعلام: ٥/١٨٩.

(٧) انظر ابن جرير : ١/٢٣٩. وابن عطية: ١/٨٦ .

ابن كثير[1]–رحمه الله.

الثاني: أن الموصوف هم أهل الكتاب[2].

وعلى هذين القولين تكون الواو لعطف الصفات، كقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى، الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى﴾[3].

الثالث: أن الآية الأولى في مؤمني العرب، والثانية في مؤمني أهل الكتاب.

نقله السدي[4]، عن ابن عباس[5]، وابن مسعود[6] وناس من الصحابة – رضي الله عن الجميع– ورجحه ابن جرير[7].

والراجح –والله تعالى أعلم– القول بأن الآيات في موصوف واحد هو كل مؤمن سواءً كان عربياً، أو عجمياً، كتابياً كان، أو غير كتابي، والدليل ما يلي:

---

(١) انظر تفسيره: ١/٤٦ .

(٢) انظر ابن جرير: ١/٢٣٨، وابن عطية: ١/٨٦ .

(٣) الأعلى: ١-٤

(٤) أبو محمد، إسماعيل بن عبدالرحمن، السدي، تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، وهو من موالي قريش، وثقه أحمد وكثير من العلماء، مات ١٢٧هـ. انظر السير: ٥/٢٦٤، والأعلام: ١/٣١٧ .

(٥) هو حبر هذه الأمة، أبوالعباس، عبدالله، بن عباس، بن عبدالمطلب، القرشي، الهاشمي – رضي الله عنه وعن أبيه– مات سنة ٦٨هـ على الصحيح. انظر الإصابة: ٢/٣٢٢. والأعلام: ٤/٩٥ .

(٦) أبو عبد الرحمن، عبد الله، بن مسعود، بن غافل، بن حبيب، الهذلي، حليف بني زهرة، صحابي جليل مات ٣٢هـ، وقيل: ٣٣هـ والأول أثبت كما قال الحافظ في الإصابة: ٢/٣٩١ . وانظر السير: ١/٤٦١.

(٧) انظر تفسيره: ١/٣٣٧ .

١– أن هذه الصفات لابد أن تجتمع في كل مؤمن، ولاتصح واحدة منها بدون الأخرى، بل كل واحدة مستلزمة للأخرى، وشرط معها. فلا يصح الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، إلا مع الإيمان بما جاء به الرسولﷺ وما جاء به من قبله من الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – والإيقان بالآخرة كما أن هذا لايصح إلا بذلك.

وقد أمر الله المؤمنين بذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل، ومن لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ (١).

وقال تعالى في أهل الكتاب: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾(٢) وقال –تعالى في وصف المؤمنين عامة– ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه المؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله﴾ (٣) إلى غير ذلك من الآيات الدالة، على أن جميع المؤمنين مأمورون بالإيمان بالله، ورسله جميعاً، وكتبه كلها، وأنه لايصح إيمان إلا بذلك، وأن من كفر برسول، أو كتاب، كان كافراً بجميعها(٤).

٢– ما روى عن مجاهد بسند صحيح أنه قال: أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في المنافقين(٥) وحسبك بمجاهد مكانةً في التفسير.

---

(١) النساء: ١٣٦

(٢) المائدة: ٦٨

(٣) البقرة: ٢٨٥ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير : ٤٦/١، بتصرف

(٥) انظر ابن جرير: ٢٣٩/١–٢٤٠ .

٣- قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ البقرة: ٤٥

بيـــن المراد بالخـــاشعين قولـــه تعالى: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون﴾[١] أي يعلمون أنهم محشورون إليه يوم القيامة معروضون عليه وأن جميع أمورهم راجعة إلى مشيئته يحكم فيها ما يشاء، ولهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات[٢].

والظن هنا بمعنى اليقين، فالعرب تسمى اليقين ظناً، والشك ظناً كما تسمى الظلمة سدفة، والضياء سدفة، والمستغيث صارخاً، والمغيث صارخاً، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تسمي بها الشيء وضده [٣].

ومن تسمية الظن يقيناً قول دريد بن الصمة: [٤]

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد [٥].

---

(١) البقرة: ٤٦

(٢) انظر ابن كثير: ٩١/١

(٣) انظر: ابن جـــرير: ١٧/٢ - ١٨، والقرطبي: ٣٧٥/١، والبحر: ٣٠٠/١، والبغـــوي: ٩٠/١.

(٤) هو دريد بن الصمة بن حشم، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن، يكنى أبا مرة، شجاع مشهور، وذو رأي سديد، شهد حنيناً شيخاً كبيراً، وقال: هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه مات ٨هـ.

انظر الشعر والشعراء: ٥٠٦، والأعلام: ٣٣٩/٢.

(٥) البيـــت في مجاز القرآن: ٤٠/١، والزجاج: ١٢٦/١، والطبري: ١٨/٢، والقرطبي: ٣٧٥/١، واللسان: مادة ظن ٢٧٢/١٣ .

٤- قوله سبحانه: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾ البقرة: ٤٩

يبين المراد ﴿بسوء العذاب﴾ قوله -تعالى - في الآية نفسها-: ﴿يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾.

وهذا المذكور في الآية هو أعظمه وأشده، ولذلك فسر به، وإلا فإنهم كانوا يعذبونهم بأنواع شتى من العذاب منها استعمالهم في مشاق الأعمال وأرذلها ولذلك قال تعالى في سورة إبراهيم -عليه السلام-: ﴿يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ [(١)].

فعمم العذاب ثم عطف عليه الخاص لبيان أهميته، وما من ريب أن قتل الأبناء واستبقاء النساء أشد ما يعذب به الإنسان في الدنيا لما فيه من الألم الذي يقطع القلب ويذيب الكبد، ولهذا فسر به العذاب في سورة البقرة وسورة الأعراف[(٢)].

وعطف على العذاب في سورة إبراهيم، ليدل على أن هناك أنواعاً أخرى منه، وأن ذلك أشده وأعظمه.

قال القرطبي[(٣)]: قال الفراء[(٤)] وغيره: (يذبحون) بغير واو على التفسير

(١) ابراهيم: ٦ .

(٢) الأعراف: ١٤١ .

(٣) أبو عبدالله، محمد، بن أحمد، بن أبي بكر، بن فرج، الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي مفسر، بارع، مات سنة ٦٧١هـ، انظر الأعلام: ٣٢٢/٥-٣٢٣.

(٤) أبوزكريا، يحيى، بن زياد، الفراء، مولى لبني أسد، إمام أهل الكوفة في النحو والأدب، مات سنة ٢٠٧هـ. انظر نزهة الألباء: ٨١. والسير: ١١٨/١٠. والأعلام: ١٤٥/٨.

لقوله: ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾. كما تقول: أتاني القوم زيد وعمر، فلا تحتاج إلى الواو في زيد.. وفي سورة إبراهيم (ويذبحون) بالواو؛ لأن المعنى يعذبونكم بالذبح وبغير الذبح. فقوله: ﴿ويذبحون أبناءكم﴾ جنس آخر من العذاب، لا تفسير لما قبله[1].أهـ.

٥– قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين﴾ البقرة: ٦٢

بين –سبحانه وتعالى – أن الموعود بالثواب العظيم في قوله: ﴿فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾. إنما هم الذين وصفهم بقوله: : ﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً﴾ فهذا بيان لأهل الوعد العظيم. فقوله: (من آمن) إما أنه بدل من الموصول، أو جملة ابتدائية بيانية[2].

فإن قيل: كيف يؤمن المؤمن؟

فالجواب على ذلك أن أهل التفسير اختلفوا في المراد بقوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ على ثلاثة أقوال:

الأول: أنهم المنافقون الذين آمنوا ظاهراً لاباطناً. وهذا منسوب إلى سفيان الثوري[3][4].

---

(١) انظر القرطبي: ١/٣٨٤-٣٨٥ . ومعاني القرآن: ٢/٦٨-٦٩ .

(٢) انظر التبيان: ١/٧٠.

(٣) هو سفيان، بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري، من بني ثور بن عبد مناة بن مضر، مات: ١٦١هـ . انظر السير: ٧/٢٢٩، والأعلام: ٣/١٠٤ .

(٤) انظر المحرر الوجيز: ١/١٥٦ . والقرطبي: ١/٤٣٢ .

الثاني: أنهم المؤمنون حقاً ومعناه من ثبت على إيمانه حتى الموت وهذا ما رجحه ابن جرير[١].

الثالث: أنهم أهل الحنيفية ممن لم يدرك محمداًﷺ وهذا منسوب إلى السدي[٢].

وقوله- تعالى-: ﴿وعمل صالحاً﴾ العمل الصالح ما كان خالصاً لله موافقاً للسنة. قال معاذ -رضي الله عنه-: العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء: العلم، والنية، والصبر، والإخلاص[٣].

٦- قوله تعالى: ﴿يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾ البقرة: ١٠٢

اختلف المفسرون في ﴿هاروت وماروت﴾ على ثلاثة أقوال:

الأول: أنهما بيان وترجمة للملكين وعلى هذا تكون (ما) بمعنى الذي وهذا قول عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد[٤] وهذا ما رجحه ابن جرير[٥] والبغوي[٦][٧]- رحمهما الله.

---

(١) انظر تفسيره: ٢/ ١٤٨ .

(٢) انظر المحرر الوجيز: ١/ ١٥٦ .

(٣) انظر معالم التنْزيل: ١/٧٣.

(٤) أبو قلابة، عبدالله بن زيد بن عمرو الجرمي، البصري، من ثقات التابعين مات سنة: ١٠٤هـ وقيل: ١٠٧هـ انظر السير: ٤/٤٦٨ .

(٥) انظر تفسيره: ٢/٤٢٤ .

(٦) أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، البغوي، الشافعي، مفسر مشهور، ومحدث جليل مـــات سنة ٥١٦هـ. انظر تذكرة الحفاظ: ٤/١٢٥٧، وفيات الأعيان: ٢/١٣٦، طبقات الحفاظ: ٤٥٧.

(٧) انظر تفسيره: ١/١٢٩ .

الثاني: أنهما تفسير للناس وبدل منه. وعلى هذا تكون (ما) جحداً بمعنى (لـــم) وهذا مروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– بسند ضعيف[1].

الثالث: أنهما ترجمة وتفسير للشياطين، وهذا ما رجحه القرطبي ونصره بشدة[2].

والراجح أن ﴿هاروت وماروت﴾ بدل من الملكين وترجمة عنهما، والدليل:

١– أن هذا ظاهر الآية، وبه يستقيم نظمها، أما غيره فخلاف الظاهر، ولايساعده النظم. ولايجوز العدول عن الظاهر إلا بدليل معتبر ولادليل.

٢– أن قوله: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلاتكفر﴾ دليل واضح على أن المعلم ليس من الشياطين إذ الشياطين لاتحذر من ذلك بل تأمر به، وأنه ليس من الناس لأنهم هنا في مقام المتعلم لا المعلم، فتعين أن يكون التعليم هنا من الملكين.

٣– أن هذا مذهب ابن عباس –رضي الله عنهمـــا– ولا أعلم له مخالفاً من الصحابة، كما أنه مذهب أئمة التابعين كقتادة والسدي، وابن زيد، وقد رجحه ابن جرير والبغوي، وأبوحيان[3][4]، والزجاج[5][6].

---

(١) انظر تفسير ابن جرير: ٤١٩/٢ .

(٢) انظر تفسيره: ٥٠/٢ .

(٣) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي، الأندلسي، الجياني من أكابر علماء العربية والتفسير والتراجم مات ٧٤٥هـ . انظر طبقات المفسرين: ٢٨٧/٢ .

(٤) انظر تفسيره: ٥٢٨/١ .

(٥) أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل، كان من أهل الدين والفضل وكان عالماً بالعربية والنحو، مات ٣١١هـ . انظر السير: ٣٦٠/١٤ وبغية الوعاة: ٤١١/١ .

(٦) انظر معاني القرآن: ١٨٣/١ .

٤– أن الذي أوجب لبعض المفسرين عدم القول به هو (كيف يجوز للملك أن يعلم السحر؟)، وهذا غير موجب لما ذهبوا إليه، لأن الله عزوجل جعل ذلك ابتلاءً وامتحاناً للناس، ثم هما يحذران من أراد أن يتعلم قبل ذلك ويبينان له أنهما ابتلاء واختبار من الله وأن هذا لايحل له وأنه كفر وهذا واضح والمنة لله وحده.

٧– قوله تعالى : ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات﴾ البقرة: ١٢٦

بين –سبحانه– أن دعاء إبراهيم ليس لجميع أهل البلد بل للمؤمنين خاصة بقوله: ﴿من آمن منهم﴾.فدعاؤه عليه السلام إنما هو لأهل الإيمان ليس لكل أحد من أهل البلد. قال ابن جرير: وهذه مسألة من إبراهيم ربه: أن يرزق مؤمني أهل مكة من الثمرات، دون كافرهم. وخص بمسألة ذلك للمؤمنين دون الكافرين، لما أعلمه الله– عند مسألته إياه أن يجعل من ذريته أئمة يقتدى بهم– أن منهم الكافر الذي لاينال عهده، والظالم الذي لايدرك ولايته. فلما أن علم أن من ذريته الظالم والكافر خص بمسألته ربه أن يرزق من الثمرات من سكان مكة المؤمن منهم دون الكافر وقال الله له: إني قد أجبت دعاءك، وسأرزق مع مؤمني أهل هذا البلد كافرهم فأمتعه قليلاً.

وأما (مَنْ) من قوله: ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ فإنه نصب على الترجمة والبيان عن (الأهل)[1] أهـ.

(١) انظر تفسيره: ٣/ ٥٢. والزجاج: ١/٢٠٧، والسمعاني: ١/١٣٨، والبغوي: ١/١٤.

٨- قوله تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ البقرة: ١٣٢

بين -تبارك وتعالى- وصية يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ فوصية يعقوب هي وصية إبراهيم -عليهما السلام- كلاهما أوصى بنيه بذلك. قال قتادة: ووصى بها يعقوب بنيه بعد إبراهيم[١].

وقوله تعالى : ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ أي: الزموا الإسلام وأثبتوا عليه أيام حياتكم واحذروا أن تفارقوه. لأن أحدكم لايدري متى تأتيه منيته [٢].

وقال ابن كثير[٣]: وقوله تعالى: ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ أي: احسنوا في حل الحياة والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه، وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له ويسر عليه ومن نوى صالحاً ثبت عليه، وهذا لايعارض ما جاء في الحديث الصحيح: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[٤] لأنه قد

(١) انظر ابن جرير: ٣/٩٤ .

(٢) انظر ابن جرير: ٣/٩٤ والزمخشري: ١/٩٥ .

(٣) أبو الفداء عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي، البصري، ثم الدمشقي، مات ٧٧٤هـ . انظر طبقات المفسرين: ١/١١١ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد برقم (٧٤٥٣) وفي بدء الخلق (٣٢٠٨) والأنبياء برقم =

جاء في بعض روايات هذا الحديث: «فيعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وبعمل أهل النار فيما يبدو للناس».

وقد قال الله تعالى : ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ أه [١][٢].

قلت: قول ابن كثير: «لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث..» الصواب أن هذا حديث مستقل مخرج في الصحيحين بلفظ: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وأن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»[٣]، والحديث ليس فيه تعرض للقرب الذي في الحديث الأول، فيجب أن يحمل الحديث الأول على ظاهره وأن الإنسان قد يعمل بعمل أهل الجنة باطناً وظاهراً ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، ولاموجب في نظري لتقييد الحديث لأن معناهما ظاهر فالحديث الأول العامل فيه ظاهره وباطنه سواء والحديث الثاني العامل فيه يخالف ظاهره باطنه. والمسلم يكفر بعد إسلامه والكافر يؤمن بعد كفره، والمطيع يعصي بعد طاعة، والعاصي يطيع بعد معصيته والموفق من وفقه الله تعالى.

قال الحافظ ابن حجر:[٤] وقوله: «فإن المرء يموت غالباً على ما كان

= (٣٣٣٢) وفي كتاب القدر (٦٥٩٤) ومسلم في القدر برقم (٢٦٤٣) .

(١) الليل: ٥-١٠ .

(٢) انظر تفسيره: ١٩١/١ .

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد برقم (٢٨٩٨)، ومسلم في الإيمان برقم (١١٢) .

(٤) أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ولد بفلسطين وتوفى بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ. انظر الأعلام: ١٧٨/١

عليه، ويبعث على مامات عليه)) كلام جيد.

قال النووي[1] –رحمه الله –: والمراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع في نادر من الناس لا أنه غالب فيهم ثم إنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة.. ويدخل في هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية، لكن يختلفان في التخليد وعدمه فالكافر يخلد في النار، والعاصي الذي مات موحداً لا يخلد فيها[2] أهـ .

٩– قوله تعالى : ﴿وبشر الصابرين﴾ البقرة: ١٥٥

بينه قوله – سبحانه–: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾[3] فقوله تعالى : ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ بيان للصابرين وقوله –سبحانه–: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ بيان للبشارة.

قال ابن كثير –رحمه الله–: ثم بين تعالى من الصابرون الذين شكرهم فقال: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾أي: تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم، وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة، فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده وأنهم إليه راجعون

(١) أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مرعي بن حسن الحزامي الحوراني، الدمشقي الشافعي مات ليلة الأربعاء ٦٧٦/٧/٢٤هـ. انظر العبر: ٣٣٤/٣ وطبقات الأسنوي: ٤٧٦/٢.

(٢) شرحه على مسلم: ٢٩٦/١٦ .

(٣) البقرة: ١٥٦–١٥٧ .

في الدار الآخرة. ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك[١]أهـ.

عن أم سلمة[٢]– رضي الله عنها– أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مـــا من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: ما أمره الله به: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبة وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله لـــه خيراً منها»[٣] وصلواته –سبحانه– على عباده ثناؤه عليهم[٤].

١٠– قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ البقرة: ١٨٣

بين هذا الصيام قوله تعالى ﴿أياماً معدودات﴾[٥]، ثم بين –سبحانه– هذه الأيام بقوله: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾[٦].

قال ابن جرير –رحمه الله– بعد ذكر الخلاف في المراد بالأيام المعدودات: وأولى ذلك بالصواب – عندي– قول من قال: عنى الله– جل ثناؤه– بقوله: ﴿أياماً معدودات﴾ أيام شهر رمضان. وذلك أنه لم يأت خبر تقوم به حجة، بأن

(١) انظر تفسيره: ١/٢٠٣ .

(٢) أم المؤمنين، هنـــد بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبـــد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية، المخزومية، كان أبوها يلقب بزاد الراكب، هي آخر أمهات المؤمنين موتاً، ماتت سنة تسع وخمسين، وقيل: احـــدى وستين، وقيـــل: سنة اثنتين وستين. انظر الإصابة: ٤/٤٣٩– ٤٤٠ .

(٣) خرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، حديث رقم (٩١٨) ٦/٣١٢ .

(٤) انظر ابن كثير: ١/٢٠٣ .

(٥) البقرة: ١٨٤

(٦) البقرة: ١٨٥

صوماً فرض على أهل الإسلام غير شهر رمضان، ثم نسخ بصوم شهر رمضان، وأن الله تعالى قد بين في سياق الآية أن الصيام الذي أوجبه جل ثناؤه علينا هو صيام شهر رمضان دون غيره من الأوقات، بإبانته عن الأيام التي أخبر أنه كتب علينا صومها بقوله: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾.. وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا للذي بينا فتأويل الآية: كتب عليكم أيها المؤمنون الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياماً معدودات هي شهر رمضان[1].

١١– قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدي﴾ البقرة: ١٨٤

بين المراد بالفدية قوله –تعالى في الآية نفسها: – ﴿طعام مسكين﴾. وهذا كان في ابتداء الأمر من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً، ثم نسخ في حق الصحيح المقيم بقوله: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾[2] قاله معاذ[3] – رضي الله عنه– وهكذا روى البخاري[4] عن الأكوع[5] رضي الله عنه– أنه قال: لما نزلت: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾

(١) انظر تفسيره: ٤١٧/٣ .

(٢) البقرة: ١٨٤

(٣) الصحابي الجليل، أبو عبد الرحمن، معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، مات ١٨هـ . انظر الإصابة: ٤٠٦/٣، والأعلام ٢٥٨/٧.

(٤) أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، شيخ المحدثين مات: ٢٥٦هـ انظر السير: ٣٩١/١٢. والأعلام: ٣٤/٦

(٥) الصحابي الجليل، سلمة بن عمرو بن سنان، كان شجاعاً، عداءً من الذين بايعوا عند الشجرة، تحول بعد مقتل عثمان إلى الربذة ثم قبل وفاته بليالٍ رجع إلى المدينة ومات بها =

كان من أراد أن يفطر يفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها، وهكذا روى عن ابن عمر –رضي الله عنهما–[١]. واختلف العلماء هل حكمها باق في حق الشيخ الهرم الذي لايستطيع الصيام أم أنه يفطر ولافدية عليه، على قولين:

الأول: لايجب عليه إطعام؛ لأنه ضعيف عنه لسنه، فلم يجب عليه فدية كالصبي، والله عزوجل لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولم يجعل حرجاً على عباده في الدين[٢].

الثاني: يجب عليه الإطعام. وهذا قول ابن عباس –رضي الله عنهما– وهو اختيار البخاري[٣]–رحمه الله–؛ لأن الله جعل الإطعام معادلاً للصيام عندما كان التخيير بينهما. أول ما فرض الصيام، فتعين أن يكون بدلاً عن الصيام، عند العجز عنه، لأنه معادل له[٤]. وقد رجح هذا ابن كثير –رحمه الله[٥].

وهو الظاهر؛ لأنه قول ابن عباس، وفعل أنس بن مالك [٦][٧]–رضي الله عنهم.

= ٧٤هـ انظر الإصابة: ٦٥/٢ .

(١) رواه تعليقاً عنهما في كتاب الصيام في أول باب (وعلى الذين يطيقونه) .

(٢) انظر ابن كثير: ٣٢١/١

(٣) انظر الصحيح مع الفتح ١٧٩/٨، كتاب التفسير، باب (أياماً معدودات) .

(٤) انظر مجالس شهر رمضان للشيخ محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله– ص٣٤ .

(٥) انظر تفسيره: ٣٢١/١ .

(٦) الصحابي الجليل، أبو حمزة، خادم رسول الله ﷺ ورضي عنه، مات ٩١هـ. انظر السير: ٣٩٥/٣، والإصابة: ٨٤/١ .

(٧) انظر صحيح البخاري مع الفتح: ١٧٩/٨ .

١٢–قوله تعالى : ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ البقرة: ١٨٧

بين– تبارك وتعالى– المراد بالخيطين بقوله في الآية نفسها: ﴿من الفجر﴾ فعلم بذلك أن المراد بياض النهار من سواد الليل.

عن سهل[١] بن سعد –رضي الله عنه– قال: أنزلت ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ ولم ينْزل ﴿من الفجر﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود ولايزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله تعالى بعدُ ﴿من الفجر﴾ فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار [٢].

وعن عدي[٣] بن حاتم –رضي الله عنه– قال: «لما نزلت ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر فيه فلا يتبين لي. فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك. فقال: إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»[٤] وهذا منه–

(١) الصحابي الجليل، سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي، من مشاهير الصحابة، مات النبي صلى الله عليه وسلم وهـــو ابن خمس عشرة ومات هو سنة ٩١هـ وقيل: قبل ذلك. انظر الأصابة: ٨٧/٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصيام برقم (١٩١٧) ومسلم في كتاب الصيام برقم (١٠٩١).

(٣) الصحابي الجواد بن الجواد، عدي بن حاتم بن عبدالله الطائي، من المعمرين من الصحابة مات سنة ٦٨هـ، وهو ابن مائة وعشرين. انظر الإصابة: ٤٦١/٢ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصـــوم برقم (١٩١٦) ومسلم في كتاب الصيام برقم (١٠٩٠) واللفظ البخاري .

رضي الله عنه قبل نزول بيان الآية بقوله –تعالى: ﴿من الفجر﴾.

والعرب تسمي بياض النهار خيطاً وسواد الليل خيطاً قال الشاعر:

فلما أضـــاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط أنارا[١].

قال الزمخشري[٢]: وقوله: ﴿من الفجر﴾ بيان للخيط الأبيض واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للثاني[٣] أهـ.

١٣– قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ البقرة: ١٨٩

بينه– سبحانه وتعالى في الآية نفسها –بقوله: ﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾ أي: مواقيت لعباداتهم من صلاة وصوم وحج ومعاملاتهم من بيع وشراء وحلول دين، وهي مواقيت لعدد نسائهم. قـــال قتادة: سألوا نبي الله ﷺ عن ذلك: لم جعلت هذه الأهلة ؟ فأنزل الله ما تسمعون: ﴿هي مواقيت للناس﴾ فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم ولمناسكهم وحجهم، ولعدة نسائهم ومحل دينهم في أشياء والله أعلم بما يصلح خلقه[٤] وكذا قال غيره [٥].

قال القرطبي: قوله تعالى : ﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾ تبيين لوجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه، وهو زوال الإشكال في ا لآجال والمعاملات والأيمان والحج والعدد والصوم والفطر ومدة الحمل والإجارات والأكرية إلى غير ذلك

(١) البيت لأبي دؤاد الإيادي وهو في اللسان مادة (خيط) .

(٢) أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، الـــزمخشري، المعتزلي مات ٥٣٨هـ، انظر السير: ١٥١/٢٠، وبغية الوعاة: ٢٧٩/٢ وطبقات المفسرين: ٢١٤/٢ .

(٣) انظر تفسيره: ١١٦/١ .

(٤) أخرجه ابن جرير بسند صحيح. انظر تفسيره: ٥٥٣/٣ .

(٥) انظر ابن جرير: ٥٥٣/٣–٥٥٥ .

من مصالح العباد. ونظيره قول الحق: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾[1].

وقوله: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾[2][3] أ هـ.

١٤– قوله تعالى : ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ البقرة: ٢١٤

بين هذا المثل قوله –سبحانه– في الآية نفسها: ﴿مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾.

والمثل هنا الشبه[4]، أي: ولم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم. وقال بعضهم، المثل هنا بمعنى الصفة[5].

والبأساء شدة الحاجة، والفاقة[6].

والضراء العلل والأوصاب[7]، وقوله: (وزلزلوا) أي: خوفوا من الأعداء بأنواع المخاوف المتتالية.

---

(١) الاسراء: ١٢ .

(٢) يونس: ٥ .

(٣) انظر تفسيره: ٣٤٢/٢ .

(٤) انظر ابن جرير: ٢٨٩/٤، والقرطبي: ٣٤/٣.

(٥) انظر القرطبي: ٣٤/٣.

(٦) انظر ابن جرير: ٢٨٨/٤، ومعالم التنْزيل: ٢٤٥/١.

(٧) انظر ابن جرير: ٢٨٨/٤ .

عن خباب[١] –رضي الله عنه– قال: «أتيت النبي ﷺ وهو متوسد وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمرٌ وجهه فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله»[٢].

١٥– قوله تعالى : ﴿ يسألونك ماذا ينفقون ﴾ البقرة: ٢١٥

بينه –سبحانه– بقوله: ﴿قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾.

قال ابن جرير: يعني بذلك جل ثناؤه: يسألك أصحابك يا محمد أي شيء ينفقون من أموالهم فيتصدقون به ؟ وعلى من ينفقونه وفيما ينفقونه ويتصدقون به؟ فقل لهم: ما أنفقتم من أموالكم وتصدقتم به فأنفقوه وتصدقوا به واجعلوه لآبائكم وأمهاتكم وأقربيكم ولليتامى منكم، والمساكين، وابن السبيل، فإنكم ما تأتوا من خير وتصنعوه إليهم فإن الله به عليم، وهو محصيه لكم حتى يوفيكم أجوركم عليه يوم القيامة ويثيبكم على ما أطعتموه

(١) الصحابي الجليل، خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، من السابقين إلى الإسلام قيل: أسلم سادس ستة، كان في الجاهلية قيناً يصنع السيوف، ولما أسلم استضعفه المشركون، شهد المشاهد كلها ومات بالكوفة ٣٧هـ . انظر الإصابة: ٤١٦/١. والأعلام: ٣٠١/٢ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين. انظر الصحيح مع الفتح: ١٦٤/٧-١٦٥ حديث رقم ٣٨٥٢ .

بإحسانكم عليه أه [1].

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف طابق الجواب السؤال في قوله: ﴿قل ما أنفقتم﴾ وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف. قلت: قد تضمن قوله: ﴿ما أنفقتم من خير﴾ بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ماهو أهم وهو بيان المصرف، لأن النفقة لايعتد بها إلا أن تقع موقعها أه [2].

١٦– قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ البقرة: ٢١٧

بينه قوله –سبحانه–: (قتال فيه) فالسؤال ليس عن تعيين الشهر الحرام، ولا عن عدده، وإنما هو عن حكم القتال فيه.

قال الزجاج: (قتال) مخفوض على البدل من الشهر الحرام. المعنى: يسألونك عن قتال في الشهر الحرام[3] أ هـ.

وقال ابن جرير: إن ذلك على معنى تكرير (عن) عليه[4].

فيكون على هذا بدل جملة من جملة.

وسبب نزول الآية: أن النبي –ﷺ– بعث عبدالله بن جحش[5] مع ثمانية نفر قبل مكة، ودفع إليهم كتاباً وقال: لاتفكوه إلا بعد يومين، فلما مضى يومان

---

(١) انظر تفسيره: ٤/٤٩١ .

(٢) انظر تفسيره: ١/١٣٠ .

(٣) انظر معاني القرآن: ١/ ٢٨٩ .

(٤) انظر تفسيره: ٤/ ٣٠٠ .

(٥) هو عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي، صحابي، قديم الإسلام، هاجر إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة، أخو زينب أم المؤمنين رضي الله عنهما، قتل يوم أحد، رضي الله عنه. انظر الإصابة: ٢/٢٧٨ و الأعلام: ٤/٧٦ .

فكوا الكتاب، فإذا فيه: امضوا إلى بطن النخل– وذلك موضع بين مكة والطائف– وفيه استعلموا أخبار قريش، فنَزلوا هناك، وكانوا يستعلمون خفية، فمر بهم عير من الطائف عليهم عمرو بن الحضرمي مع زبيب وأدم، فرماه واحد من المسلمين فقتله وقادوا العير إلى رسول الله ﷺ . وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة أو في أول يوم من رجب –وكانوا شاكين فيه– المشركون بقتلهم ابن الحضرمي في الشهر الحرام فنَزلت الآية[١].

١٧– قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ البقرة: ٢١٩

بينه تعالى بقوله: ﴿قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾.

عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء، فنَزلت الآية التي في سورة البقرة ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير﴾ الآية ثم قال: فدعي عمر فقرئت عليه، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء فنَزلت الآية التي في النساء ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾[٢] فكان منادى رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادي،، ألا يقربن الصلاة سكران. فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء فنَزلت هذه الآية ﴿فهل أنتم منتهون﴾[٣] قال عمر: انتهينا[٤].

(١) انظر تفسير ابن جرير: ٤/ ٣٠٢،وتفسير السمعاني: ٢١٦/١والعجاب في معرفة الأسباب: ٥٣٨/١ . صححه ابن حجر في الفتح ١٥٥/١ بمجموع طرقه .

(٢) النساء : ٤٣ .

(٣) المائدة : ٩١ .

(٤) أخرجه أبو داوود في الأشربة برقم (٣٦٧٠)، والنسائي في الأشربة برقم (٥٥٤٢) =

والخمر كل ما خامر العقل قاله عمر –رضي الله عنه[1].

أما الميسر فهو القمار كله [2].

قال ابن كثير: وقوله: ﴿قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾ أما إثمهما فهو في الدين وأما المنافع فدنيوية من حيث إن فيهما نفع البدن وهضيم الطعام وإخراج الفضلات وتشحيذ بعض الأذهان ولذة الشدة المطربة التي فيها.. وكذا بيعها والانتفاع بثمنها وماكان يقمشه بعضهم من الميسر فينفقه على نفسه أو عياله ولكن هذه المصالح لاتوازي مضرته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين.أه[3].

وقال القر طبي: ومنفعة الميسر مصير الشيء للإنسان في القمار بغير كد ولاتعب فكانوا يشترون الجزور ويضربون بسهامهم فمن خرج سهمه أخذ نصيبه من اللحم ولايكون عليه من الثمن شيء ومن بقي سهمه آخراً كان عليه ثمن الجزور كله ولايكون له من اللحم شيء اه [4].

١٨– قوله تعالى : ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون ﴾ البقرة: ٢١٩

بينه –سبحانه – بقوله: ﴿قل العفو﴾ قال ابن جرير –بعد أن ذكر الأقوال في تفسير العفو–: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى العفو

= والترمذي في التفسير برقم (٣٠٤٩)، والحاكم في مستدركه (١٤٣/٤) وصححه ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٣٤٨) وفي صحيح الترمذي برقم (٣٠٤٩) وفي صحيح النسائي برقم (٥٥٥٥) .

(١) انظر ابن كثير: ٢٦٣/١ .

(٢) انظر الدر المنثور: ٥٦٣/٢ .

(٣) انظر تفسيره: ٢٦٣/١ .

(٤) انظر تفسيره: ٥٧/٣ .

الفضل من مال الرجل عن نفسه وأهله في مؤونتهم مالابد لهم منه. وذلك هو الفضل الذي تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ بالإذن بالصدقة وصدقته في وجوه البر، ثم ذكر بعض الأخبار [١].

قلت: عن جابر –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا» يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك [٢].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول»[٣].

قلت: فليس للمسلم أن يترك الواجب لمستحب، فإن لم يستطع الجمع فعل ما يجب وترك ما يستحب وإن استطاع الجمع فعل الواجب ثم المستحب.

١٩– قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن اليتامى﴾ البقرة: ٢٢٠

بينه –سبحانه– بقوله: ﴿قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم﴾.

عن ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾[٤] و ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾[٥] قال: اجتنب

(١) انظر تفسيره: ٤/٣٤٠ .

(٢) أخرجه مسلم في الزكاة برقم (٩٩٧) .

(٣) أخرجه البخاري في الزكاة برقم (١٤٢٧) .

(٤) الأنعام: ١٥٢ .

(٥) النساء : ١٠ .

الناس مال اليتيم وطعامه، فشق ذلك على المسلمين، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير﴾ إلى قوله: ﴿لأعنتكم﴾ (١) وعنه: في قوله: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ قال: كان يكون في حجر الرجل اليتيم فيعزل له طعامه وشرابه وآنيته فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله عزوجل: ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾ فأحل لهم مخالطتهم(٢).

قال ابن كثير: فقوله: ﴿قل إصلاح لهم خير﴾ على حدة ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾ أي: وإن خلطتم طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم فلا بأس عليكم لأنهم إخوانكم في الدين ولهذا قال: ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾ أي: يعلم من قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح، وقوله: ﴿ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم﴾ أي: لو شاء الله لضيق عليكم وأحرجكم ولكنه وسع عليكم وخفف عنكم وأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن أه(٣).

٢٠– قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض ﴾ البقرة: ٢٢٢

بينه –سبحانه – بقوله: ﴿قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ فبين سبحانه أن الحيض قذر ونجاسة، وأن النساء يعتزل جماعهن في أيام حيضهن، ولا يحل أن يؤتين مادمن في الحيض، فإذا طهرهن وتطهرن حل منهن كل شيء أباحه الله تعالى، قال ابن كثير: فقوله تعالى : ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾

(١) أخرجه أبو داوود في الوصايا برقم (٢٨٧١) والنسائي في الوصايا برقم(٣٦٧١) وحسنه الألباني في صحيح أبي داوود برقم(٢٥٥٥) وفي صحيح النسائي برقم (٣٦٧١).

(٢) أخرجه النسائي في الوصايا برقم(٣٦٧٢) وحسنه الألباني في صحيح النسائي برقم (٣٦٧٢) .

(٣) انظر تفسيره: ١/٢٦٤ .

تفسير لقوله: ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ ونهى عن قربانهن بالجماع مادام الحيض موجوداً، ومفهومه حله إذا انقطع أ هـ [١].

عن أنس –رضي الله عنه–: «أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤآكلوها ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ : اصنعوا كل شيء إلا النكاح . فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه..» الحديث [٢].

٢١– قوله تعالى: ﴿ فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ البقرة: ٢٢٢

بينه –عزوجل– بقوله: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ فموضع الحرث هو القبل، فلا يحل أن يتعدى إلى غيره.

قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: قوله: ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ يقول: في الفرج لاتعدوه إلى غيره فمن فعل شيئاً من ذلك فقد اعتدى[٣] عن جابر[٤] –رضي الله عنه– قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾[٥].

---

(١) انظر تفسيره: ١/٢٦٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحيض برقم (٣٠٢) .

(٣) انظر ابن جرير: ٤/٣٨٨ .

(٤) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المكثرين في الرواية له ولأبيه صحبة مات: ٧٨هـ . انظر الإصابة: ١/٢١٤. .

(٥) أخرجه البخاري في التفسير برقم (٤٥٢٨) ومسلم في النكاح برقم (١٤٣٥) .

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: «جاء عمر[1] –رضي الله عنه– إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت. قال: وما أهلكك؟ قال: حولت رحلي الليلة قال: فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً، قال: فأنزلت على رسول الله ﷺ هـذه الآية: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ أقبل وأدبر واتق الحيضة والدبر»[2].

وعن أم سلمة –رضي الله عنها– عن النبي ﷺ في قوله: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ يعني صماماً واحداً[3].

٢٢– قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ البقرة: ٢٦١

بينه قوله –سبحانه–: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[4].

فالثواب العظيم ومضاعفة الأجر هي لمن أنفق ابتغاء وجه الله ثم لم يتبع ما أنفق مناً ولا أذى، فالمن والأذى يبطلان الصدقة ولذلك قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم

(١) هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي مات ٢٣هـ انظر الإصابة: ٢/٥١١.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير برقم (٢٩٨٠) وحسنه الشيخ الألباني في آداب الزفاف (٢٨-٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير برقم (٢٩٧٩) وصححه الألباني في آداب الزفاف ٢٧-٢٨

(٤) البقرة: ٢٦٢.

الآخر﴾[١] الآية.. قال الزجاج: فأعلم الله –عزوجل– أن المن والأذى يبطلان الصدقة كما تبطل نفقة المنافق الذي إنما يعطي وهو لايريد بذلك العطاء ما عند الله، إنما يعطي ليوهم أنه مؤمن[٢] أ هـ.

قال ابن عطية[٣]: لما تقدم في الآية التي قبل هذه ذكر الإنفاق في سبيل الله على العموم بين في هذه الآية أن ذلك الحكم إنما هو لمن لم يتبع إنفاقه مناً ولا أذى، وذلك أن المنفق في سبيل الله إنما يكون على أحد ثلاثة أوجه:

إما أن يريد وجه الله تعالى ويرجو ثوابه، فهذا لايرجو من المنفق عليه شيئاً ولاينظر من أحواله في حال سوى أن يراعي استحقاقه.

وإما أن يريد من المنفق عليه جزاء بوجه من الوجوه، فهذا لم يرد وجه الله بل نظر إلى هذه الحال من المنفق عليه، وهذا هو الذي متى أخلف ظنه مَنَّ إنفاقه وآذى، وإما أن ينفق مضطراً دافع غرم.

إما لمانة للمنفق عليه أو قرينة أخرى من اعتناء معتن ونحوه، فهذا قد نظر في حال ليست لوجه الله، وهذا هو الذي متى توبع وحرج بوجه من وجوه الحرج آذى. فالمن والأذى يكشفان ممن ظهرا منه أنه إنما كان على ما ذكرنا من المقاصد، وأنه لم يخلص لوجه الله، فلهذا كان المن والأذى مبطلين للصدقة، من حيث بين كل واحد منهما أنها لم تكن صدقة[٤] أ هـ.

---

(١) البقرة: ٢٦٤ .

(٢) معاني القرآن: ١/٣٤٧ .

(٣) أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، الغرناطي، كان مفسراً، فقيهاً، عارفاً بالأحكام والحديث، مات ٥٤١هـ . انظر السير: ١٩/٥٨٧، والأعلام: ٣/٢٨٢.

(٤) انظر تفسيره: ١/٣٥٦.

وقد نقل القرطبي–رحمه الله – كلام ابن عطية في تفسيره[1] مؤيداً له.

٢٣– قوله تعالى : ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾ آل عمران: ١٥

بين المراد بالمتقين الموعودين هذا الجزاء العظيم قوله – سبحانه– ﴿ الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾.

قال ابن عطية: فسر في هذه الآية أحوال المتقين الموعودين بالجنات[2].

والقانتون هم المطيعون لله[3].

والأسحار جمع سحر، والسحر آخر الليل قبيل الصبح[4].

٢٤– قوله تعالى : ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾ آل عمران: ٤٩

بين – سبحانه– هذه الآية بقوله: ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبريء الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ فهذا بيان للآيات التي جاء بها عليه السلام.

---

(١) انظر تفسيره: ٣/٣٠٧.

(٢) انظر المحرر الوجيز: ١/٤١١ .

(٣) انظر ابن جرير: ٦/٢٦٤، والقرطبي: ٤/٣٨.

(٤) انظر اللسان مادة (سحر) .

قال الزجاج: وقوله –جل وعز–: ﴿أني أخلق لكم من الطين﴾ يصلح أن يكون خفضاً ورفعاً، فالخفض على البدل من (آية) المعنى: جئكم بأني أخلق لكم من الطين. وجائز أن يكون ﴿إني أخلق لكم من الطين﴾ يخبرهم بهذه الآية ماهي أي: أقول لكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير [١] أهـ.

قلت: في قوله تعالى : ﴿أني أخلق لكم﴾ قراءتان سبعيتان إحداهما بفتح الهمزة من (أني) على البدلية والأخرى بكسرها على الاستئناف[٢].

وقوله: ﴿وأبرئ الأكمه﴾ اختلف المفسرون في الأكمه.

فقال مجاهد: هو الذي يبصر بالنهار ولايبصر بالليل [٣].

وقال قتادة: هو الذي ولد أعمى مغموم العينين وهذا مروي عن ابن عباس–رضي الله عنهما–وهو ما رجحه ابن جرير[٤]، وابن كثير[٥].

وقال عكرمه: هو الأعمش[٦].

٢٥– قوله تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ آل عمران: ٦٤

فسر هذه الكلمة قوله –سبحانه–: ﴿ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾.

---

(١) انظر إعراب القرآن وبيانه: ١/٤١٣. وانظر ابن جرير: ٦/٤٢٤، وابن عاشور: ٣/٢٥٠.

(٢) قرأ الجمهور بالفتح ونافع بالكسر، انظر حجة القراءات ص١٦٤ والوافي ص٢٣٥ .

(٣) انظر ابن جرير: ٦/ ٤٢٨، والدر المنثور: ٢/٥٧ .

(٤) انظر تفسيره: ٦/ ٤٢٨–٤٣١ .

(٥) انظر تفسيره: ١/ ٣٧٣ .

(٦) انظر تفسير ابن جرير : ٦/ ٤٢٩، والدر المنثور: ٢/٥٧ .

قال ابن كثير –رحمه الله–: والكلمة تطلق على الجملة المفيدة، كما قال هاهنا. ثم وصفها بقوله: ﴿سواء بيننا وبينكم﴾أي عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: ﴿أن لانعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً﴾لاوثناً ولاصليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولاناراً ولاشيئاً بل نفرد العبادة لله وحده لاشريك له وهذه هي دعوة جميع الرسل[1]. أهـ.

والكلمة السواء هي العدل قاله قتادة والربيع[2]. وقال أبو العالية: هي لا إله إلا الله[3]. قلت: ولاتنافي بين القولين فإن (لا إله إلا الله) هي كلمة العدل. أما قوله تعالى: ﴿ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ فهو من معنى قولـــه: ﴿ألا نعبد إلا الله.. ﴾ الآية، وتأكيد له. قال ابن جرير: وأما قوله: ﴿ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً﴾ فإن اتخاذ بعضهم بعضاً ما كان بطاعة الأتباع الرؤساء فيما يأمرونهم به من معاصي الله، وتركهم ما نهوهم عنه من طاعة الله، كما قال – جل ثناؤه–: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ [4][5].

عن عدي بن حاتم –رضي الله عنه–: «أنه سمع النبيﷺ يقرأ هذه الآية ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى.

(١) انظر تفسيره: ٣٧٩/١. وانظر ابن جرير: ٤٨٣/٦، والبغوي: ٤٩/٢ والقرطبي: ١٠٦/٤، وابن عطية: ٤٤٩/١، والشوكاني: ٤٢٨/١، والبحر: ١٩٥/٣ .

(٢) انظر ابن جرير: ٤٨٧/٦، والدر المنثور: ٧١/٢ .

(٣) انظر المراجع السابقة .

(٤) التوبة: ٣١

(٥) انظر تفسيره: ٤٨٩/٦ .

قال: فتلك عبادتهم»[١].

٢٦- قوله تعالى : ﴿فيه آيات بينات﴾ آل عمران: ٩٧

في قوله: (آيات) القراءة المتواترة بالجمع، وقرئ في الشاذ بالإفراد[٢] وعلى كلتا القراءتين يكون قوله – سبحانه–: ﴿مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً﴾ بياناً للآيات. أمـــا على قراءة الجمع فظاهر، وأما على قراءة الإفراد فيكون كقوله تعالى : ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ [٣] فالمراد بالآية هنا كل ما ذكر، وكذلك هي هناك.

وفسرت الآيات بهاتين لأنهما أعظم الآيات، ولايمنع ذلك أن يكون هناك آيات أخر.

قال الحسن[٤] في تفسير الآيات: مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً[٥]

---

(١) رواه الترمذي برقم ٣٠٩٥، والطبري: ١٤/٢٠٩-٢١٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣/٢٥٠ لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه. قال الترمذي: هذا حديث غريب، لانعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث اه . وحسنه الألباني في صحيح الترمذي: ٣/٢٤٧ .

(٢) قرأ بها أبو جعفر في رواية قتيبة. انظر البحر المحيط: ٣/٢٧١ .

(٣) آل عمران: ٤٩ .

(٤) أبوسعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار، مولى زيد، بن ثابت، الأنصاري،–رضي الله عنه– مات: ١٢٠هـ . انظر السير: ٤/٥٦٣ .

(٥) انظر ابن جرير: ٧/٢٧.

وهو قول قتادة وأكثر المفسرين[1]. وقال السدي: أما الآيات فمقام إبراهيم[2] وعلى هذا يكون قوله ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ جملة مستأنفة، وأيد هذا المذهب بقراءة الإفراد، وقد تقدم بيان شذوذها وأنها تحتمل المعنى الآخر فلاحجة فيها.

ومما يدل على أن أمن داخل الحرم من أعظم الآيات قوله تعالى : ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾[3].

قال الزجاج: والمعنى فيه آيات بينات، تلك الآيات مقام إبراهيم، ومن الآيات أيضاً أمن من دخله؛ لأن معنى ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ يدل على أن الأمن فيه[4] أ هـ.

وقال ابن عطية: والمترجح عندي أن المقام وأمن الداخل جعلا مثالاً مما في.

حرم الله من الآيات وخصا بالذكر لعظمهما، وأنهما تقوم بهما الحجة على الكفار؛ إذ هم مدركون لهاتين الآيتين بحواسهم[5].

وقال أبو حيان: وظاهر الآية، وسياق الكلام، أن هذه الجملة هي مفسرة لبعض آيات البيت، ومذكرة للعرب بما كانوا عليه في الجاهلية من احترام هذا البيت [6]. أ هـ.

والمراد بمقام إبراهيم المقام المعروف بهذا الاسم في المسجد الحرام، ودليل

(١) انظر البغوي: ١/٧١ .

(٢) انظر ابن جرير: ٧/٢٧.

(٣) العنكبوت: ٦٧.

(٤) انظر معاني القرآن: ١/٤٤٦ .

(٥) انظر المحرر الوجيز: ١/٤٧٥ .

(٦) انظر البحر: ٣/٢٧٣ .

ذلك ظاهر الآية فإنها منصرفة إليه، وما ثبت في الصحيحين عن أنس –رضي الله عنه– أنه قال: «قال عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–: وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث– قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ (١). وقلت: يا رسول الله: يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله عزوجل آية الحجاب. قال: وبلغني معاتبة النبي –ﷺ – بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت –لهن–: إن انتهيتن أو ليبدلنه الله خيراً منكن، فأنزل الله تعالى ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾ »(٢)(٣). وهذا قول جمهور المفسرين(٤)، وهو ما رجحه ابن جرير(٥)،والبغوي (٦)، وهناك أقوال أخرى لا داعي لذكرها(٧). وقوله تعالى : ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ قال الحسن، وقتادة، ومجاهد: هذا خبر عما كان في الجاهلية، أن من جر جريرة ثم عاذ بالحرم لايمس بسوء حتى يخرج منه(٨).

(١) البقرة: ١٢٥ .

(٢) التحريم: ٥ .

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، باب قوله: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ انظره مع الفتح: ١٦٨/٨. ومسلم في فضائل الصحابة. باب: من فضائل عمر برقم (٢٣٩٩) ٢٣٧/١٥ وفيه (أسارى بدر) بدل (المعاتبة) .

(٤) انظر ابن عطية: ٤٧٦/١، والبحر: ٢٧٣/٣ .

(٥) انظر تفسيره: ٣٦/٣ .

(٦) انظر تفسيره: ١٤٦/١-١٤٧ .

(٧) انظرها في ابن جرير: ٣٤/٣-٣٥، والبغوي: ١٤٦/١، والبحر: ٢٧٣/٣.

(٨) انظر ابن جرير: ٢٩/٧-٣٠، والدر المنثور: ٩٦/٢-٩٧.

وقال ابن عباس وابن عمر – رضي الله عنهم – وسعيد بن جبير[1] والسدي: هذا في الإسلام أيضاً فإنه لـــم يزد البيت إلا تعظيماً وتكريماً. فمن أصاب حداً خارج الحرم ثـــم عاذ به يضيق عليه حتى يخرج منه فيقام عليه خارجه، ومن أصابه فيه أقيم عليه فيه لأنه انتهك حرمته[2]، وقـــال آخرون: المعنى يكن آمناً من النار[3].

وقد رجح ابن جرير –رحمه الله– القول الثاني[4]، ونسبه البغوي إلى أكثر المفسرين[5]. ويفهم من كلام ابـــن كثير ترجيحه[6]. وقال الأمير الصنعاني[7]: إنه مذهب الجمهور من السلف والخلف[8].

قلت: ينبغي أن أشير هنا إلى أمرين:

الأول: أن حرمة الحرم باقية إلى يوم القيامة، ومما يدل على ذلك قولهﷺ: «إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس. لايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولايعضد بها شجرا. فإن أحد ترخص لقتال رسول الله –ﷺ

(١) أبو عبدالله، وقيل: أبو محمد، سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، الوالبي، مولاهم، الكوفي، من أشهر المفسرين، قتله الحاج: ٩٥هـ. انظر طبقات بن سعد: ٢٥٦/٦، والسير: ٣٢١/٤.

(٢) انظر ابن جرير: ٣٠/٧-٣٣، وابن عطية: ٤٧٧/١، والبغوي: ٧١/٢.

(٣) انظر ابن جرير: ٣٣/٧.

(٤) انظر تفسيره: ٣٤/٧ .

(٥) انظر معالم التنْزيل: ٧١/٢ .

(٦) انظر تفسيره: ٣٩٢/١-٣٩٣ .

(٧) أبو إبراهيم، محمد بن إسماعيل بـــن صلاح بـــن محمد الكحلاني ثم الصنعاني، مات سنة ١١٨٢هـ . انظر الأعلام: ٣٨/٦ .

(٨) انظر سبل السلام: ١٠٦/٤ .

فيها، فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن له ساعة من نهار ،وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب»[١].

وفي لفظ: «فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة» [٢].

وعن جابر –رضي الله عنه– قال: سمعت النبيﷺ يقول: «لايحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح»[٣].

أما الحديث الذي رواه أنس – رضي الله عنه–: «أن النبي ﷺ: دخل مكة وعلى رأسه المغفر فلما نزعه جاءه رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: اقتلوه» [٤].

فهذا في الساعة التي أحلت لرسول الله ﷺ[٥].

الثاني: أنه يجب ألا يروع من دخل الحرم، وألا يتعرض له بسوء مالم يرتكب أمراً يسقط عنه ذلك، فإذا جر جريرة فإنه هو الذي جنى على نفسه، وأسقط حقه في الأمن قال تعالى : ﴿ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾[٦].

فهؤلاء لما قاتلوا في الحرم حل قتالهم، فكذلك إذا جنى في الحرم أو لجأ إليه

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب منْزل النبي ﷺ يوم الفتح. انظره مع الفتح ٢٠/٨ ومسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة (١٣٥٤) . .

(٢) هذا في لفظ مسلم حديث رقم (١٣٥٣) .

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب النهي عن حمل السلاح بمكة بلا حاجة، حديث رقم (١٣٥٦).

(٤) خرجه مسلم، كتاب الحج، باب دخول مكة بغير إحرام حديث (١٣٥٧).

(٥) انظر فتح العلام: ١٤٨٥/٤، وسبل السلام: ١٠٧/٤ .

(٦) البقرة: ١٩١ .

حلت عقوبته ولو لم نقل بهذا القول لاختل الأمن، وانتشرت الفوضى وعاذ كل جان بالحرم طلباً للتأمين والله أعلم.

٢٧– قوله تعالى : ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ آل عمران: ٩٧

بينه قوله –سبحانه– ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ ولولا هذا البيان لفهم من الآية أن الحج واجب على الجميع مستطيعهم وغيره.

قال ابن جرير: وأما (من) التي مع قوله: (من استطاع) فإنه في موضع خفض على الإبدال من (الناس)، لأن معنى الكلام: ولله على من استطاع من الناس سبيلاً إلى حج البيت حجه. فلما تقدم ذكر (الناس) قبل (من) بين بقوله: ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ الذي عليه فرض ذلك منهم؛ لأن فرض ذلك على بعض الناس دون جميعهم[١] أ هـ .

وقال ابن عاشور[٢]: وقوله: ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ بدل من (الناس) لتقييد حال الوجوب[٣] أ هـ.

وأما السبيل فقد اختلف المفسرون فيها على أقوال أشهرها ثلاثة.

الأول: أنه الزاد والراحلة. وهذا مروي عن عمر وابن عباس –رضي الله عنهم– وسعيد بن جبير، والسدي، والحسن. واستدلوا بما روي أن رجلاً قال: ما السبيل؟ قال ﷺ : «الزاد والراحلة»[٤].

---

(١) انظر تفسيره: ٤٦/٧.

(٢) محمد، الطاهر بن عاشور، شيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مات سنة ١٣٩٣هـ . انظر الأعلام: ١٧٤/٦. .

(٣) انظر تفسيره: ٢٢/٤.

(٤) اخرجه الترمذي في الحج: ١٦٨/٣ حديث رقم (٨١٣)، وابن ماجه في الحج: ٩٦٦/٢ =

الثاني: أن السبيل الطاقة للوصول إليه، وذلك قد يكون بالمشي وقد يكون بالركوب، وقد يكون صحيحاً واجداً للزاد والراحة ولا يجب عليه لخوف الطريق، أو عدم وجود المحرم بالنسبة للمرأة. وهذا مروي عن ابن الزبير[١] – رضي الله عنه– والضحاك[٢]، وغيرهما[٣].

الثالث: أن السبيل الصحة، وهذا قول عكرمة[٤][٥] –رحمه الله.

والظاهر –والله تعالى أعلم – أن السبيل يختلف باختلاف الناس فمن كان بعيد الدار فلا يجب عليه الحج إلا إذا كان قادراً ببدنه واجداً للزاد والراحلة التي تبلغه المشاعر، ومن كان قريباً من المشاعر كأهل الحرم ونحوهم وكان قادراً ببدنه فإن الراحلة ليست شرطاً لوجوب الحج عليه، وقد يكون مستطيعاً وصول المشاعر، سواءً كان ببدنه أو براحلته وتوجد موانع تمنع الوجوب كخوف من

= حديث رقم (٢٨٩٦)، والبيهقي في الحج ٥٤١/٤ حديث رقم (٨٦٤٠) . والحاكم: ٤٢٢/١. وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. والعقيلي في الضعفاء (٣٢). وضعفه الألباني في الإرواء: ١٦٠/٤ وقال ابن جرير –٤٥/٧–: «إنما أخبار في أسانيدها نظر، لايجوز الاحتجاج بمثلها في الدين» .

(١) أبوبكر، عبدالله، بن الزبير بن العوام، القرشي، الأسدي، أول مولود في المدينة بعد الهجرة، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق –رضي الله عنهم– مات ٧٣هـ انظر الإصابة: ٣٠١/٢. والأعلام: ٨٧/٤.

(٢) أبو محمد، الضحاك، بن مزاحم، البلخي، الخراساني، مفسر مشهور، مات ١٠٥هـ انظر السير: ٥٩٨/٤، والأعلام: ٢١٥/٣ .

(٣) انظر ابن جرير: ٤٣/٧-٤٤ .

(٤) أبو عبدالله، عكرمة، بن عبدالله، البربري، المدني، مولى عبدالله بن عباس، من أعلم التابعين بالتفسير والمغازي مات ١٠٥هـ انظر السير: ١٢/٥ والأعلام: ٢٤٤/٤ .

(٥) انظر ابن جرير: ٤٤/٧ .

عدو ونحوه، فظهر بهذا أن الاستطاعة عامة بحسب أحوال الناس، والتفاسير المتقدمة إنما هي من باب ذكر المثال والله أعلم. وهذا ما رجحه ابن جرير[1]، وابن عطية[2] –رحمهما الله .

٢٨– قوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ آل عمران: ١٣٣

بين –سبحانه – المتقين بذكر أهم صفاتهم في الآية التي بعدها بقوله: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾[3] قال ابن كثير: ثم ذكر تعالى صفة أهل الجنة فقال: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ أي: في الشدة والرخاء والمنشط والمكره والصحة والضعف وفي جميع الأحـــوال كما قال: ﴿الذين ينفقون بالليل والنهار سراً وعلانية﴾[4] والمعنى: أنهم لايشغلهم أمـــر عن طاعة الله تعالى والإنفاق في مراضيه والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر. وقوله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ أي: إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه أه [5].

---

(١) انظر ابن جرير: ٤٥/٧ .

(٢) انظر المحرر الوجيز: ٤٧٨/١ .

(٣) آل عمران: ١٣٤، ١٣٥ .

(٤) البقرة: ٢٧٤ .

(٥) انظر تفسيره: ٤١٣/١ .

وقال: وقـــوله تعالى : ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ أي: إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار أه [١].

٢٩– قوله تعالى: ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة﴾ آل عمران ١٥٤

بينه – عزوجل– بقوله: ﴿نعاساً يغشى طائفة منكم﴾ فقوله (نعاساً) تفسير للأمنة .

عن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة[٢] قال: «غشينا النعاس ونحن في مصـــافنا يوم أحد، فقال: فجعل سيفي يسقط مـــن يدي وآخـــذه ويسقط وآخذه»[٣].

قال ابن كثير: يقول تعالى ممتناً على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة وهو النعاس الذي غشيهم وهم مشتملون السلاح في حال همهم وغمهم والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان كما قال في سورة الأنفال في قصة بدر ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾ أه [٤][٥].

والنعاس: مقدمات النوم، وقيل: ثقلته[٦] والنعاس هنا بدل من الأمنة[٧].

---

(١) انظر تفسيره: ١/٤١٥ .

(٢) هو صـــاحب رسول الله ﷺ زيد بن سهل بن الأسود بن حزام، الأنصاري الخزرجي النجاري، كان من فضلاء الصحابة، مات سنة ٣٤هـ . انظر الإصابة: ١/٥٤٩ .

(٣) أخرجه البخاري في التفسير برقم (٤٥٦٢) .

(٤) الأنفال: ١١.

(٥) انظر تفسيره: ١/٤٢٧ .

(٦) انظر اللسان والصحاح مادة (نعس) .

(٧) انظر إعراب القرآن للنحاس: ١/٤١٣. والزمخشري: ١/٢٢٤ .

٣٠- قوله تعالى: ﴿يظنون بالله غير الحق﴾ آل عمران: ١٥٤

بينه قـــوله تعالى : ﴿ظن الجاهلية﴾ فظن الجاهلية تفسير لظن غير الحق الذي ظنوه. قال الزمخشري: (غير الحق) في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به و (ظن الجاهلية) بدل منه ويجوز أن يكون المعنى: يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك: هذا القول غير ما تقول. وهذا القول لا قولك. وظن الجاهلية كقولك: حاتم الجود، ورجل صدق. يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية. أي: لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله أهـ.

٣١- قوله تعالى ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾ آل عمران: ١٥٤

فسره –سبحانه– بقوله: ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا﴾. فهذا بيان للأمر الذي كانوا يخفونه في أنفسهم.

قال ابن كثير: ثم فسر ما أخفوه في أنفسهم بقوله: ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا﴾ أي: يســـرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ[١] أهـ. وكذلك قال السمعاني[٢][٣].

وفسر الآية بهذا ابن جرير[٤]، وابن عاشور[٥] – رحم الله جميعهم.

(١) انظر تفسيره: ١/ ٤٢٧ .

(٢) الإمام، منصور، بن محمد، بن عبدالجبار، بن أحمد، التميمي، المروزي، مات ٤٨٩هـ . انظر طبقات السبكي: ٣٣٥/٥، وطبقات المفسرين: ٣٣٩/٢، والأنساب: ٢٩٩/٣.

(٣) انظر تفسيره: ٣٦٩/١ .

(٤) انظر تفسيره: ٣٢٢/٧ .

(٥) انظر تفسيره: ١٧٣/٣ .

٣٢- قوله تعالى : ﴿وأن الله لايضيع أجر المؤمنين﴾ آل عمران: ١٧١

بينه سبحانه بذكر صفاتهم في قوله: ﴿الذين استجابو لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [١]، وهذا ما رجحه ابن جرير –رحمه الله– حيث قال: يعني بذلك جل ثناؤه وأن الله لايضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم.. وأن الله لايضيع أجر المؤمنين ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ [٢]. أ هـ.

وقال: و (الذين) في موضع خفض مردود على (المؤمنين) وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول [٣] أ هـ.

وقال الزجاج: (الذين) جائز أن يكون في موضع خفض على النعت للمؤمنين، والأحسن أن يكون في موضع رفع بالابتداء ويكون خبر الابتداء ﴿للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ [٤] أ هـ.

وهذا ما استحسنه ابن عطية أيضاً[٥]. وعلى هذا تكون (الذين) الثانية من صفة الذين أحسنوا[٦].

قلت: سواءً قلنا إن (الذين) نعت للمؤمنين –وهو الظاهر– أو مبتدأ

(١) آل عمران: ١٧٢-١٧٣ .

(٢) انظر تفسيره: ٧/٤٠٤، ٣٩٩ .

(٣) انظر تفسيره: ٧/٤٠٥ .

(٤) انظر معاني القرآن: ١/٤٨٩ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٥٤٢ .

(٦) المرجع السابق .

وخبره ما بعده فالآيات بيان لهؤلاء المؤمنين لأن الحديث عنهم فهم المتسجيبون لله ورسوله وهم المحسنون المتقون وهم الذين قيل لهم: ذلك القول، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

٣٣– قوله تعالى : ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ آل عمران: ١٨١

بين الله –سبحانه– هؤلاء بقوله: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾[١].

فهذه صفة مبينة لقائلي القول السابق، وهم أحبار اليهود، قال ابن عطية: وقوله تعالى : ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا﴾ صفة راجعة إلى قوله: ﴿الذين قالوا إن الله فقير﴾[٢] أ هـ. وكذا قال ابن جرير وغيره[٣].

وقال الزجاج: هذا من نعت العبيد[٤]. أ هـ.

قال ابن عطية: وهذا مفسد للمعنى والرصف[٥] أ هـ.

وقال أبو حيان – بعد ذكره تعقيب ابن عطية على الزجاج –: وهو كما قال[٦] أهـ .

قلت: في نسخة دار الكتب المصرية من معاني القرآن للزجاج (من نعت

(١) آل عمران: ٨٣ .

(٢) انظر تفسيره: ١/٥٤٩ .

(٣) انظر ابن جرير: ٧/٤٤٨ . والتحرير والتنوير: ٤/١٨٥، والبحر: ٣/٤٥٨.

(٤) انظر معاني القرآن: ١/٤٩٤ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٥٤٩ .

(٦) انظر البحر: ٣/٤٥٨ .

اليهود). وهذا كلام مستقيم، وأظن أن كلمة (العبيد) خطأ من الناسخ والله تعالى أعلم[١].

٣٤- قوله تعالى : ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ آل عمران: ١٩٠

بين الله -سبحانه وتعالى- أولي الألباب بذكر صفاتهم في قوله: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار. ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار. ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد﴾[٢].

وجملة ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ وما عطف عليها من الجمل إلى آخر الآيات مقول قول محذوف تقديره (يقولون)[٣].

قال أبوحيان: وانظر إلى حسن محاورة هؤلاء الذاكرين المتفكرين، فإنهم خاطبوا الله تعالى بلفظة، (ربنا) وهي إشارة إلى أنه ربهم أصلحهم وهيأهم للعبادة، فأخبروا أولاً بنتيجة الفكر وهو قولهم: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ ثم سألوه أن يقيهم النار بعد تنْزيهه عن النقائص، وأخبروا عن حال من يدخل النار وهم الظالمون الذين لايذكرون الله، ولايتفكرون في مصنوعاته. ثم ذكروا أيضاً

(١) انظر تعليق المحقق: ١/٤٩٤ .

(٢) آل عمران: ١٩١- ١٩٤ .

(٣) انظر الكشاف: ١/٢٣٧. والزجاج: ١/٤٩٩ .

ما أنتج لهم الفكر من إجابة الداعي إلى الإيمان، إذ ذاك مترتب على أنه تعالى ما خلق هذا الخلق العجيب باطلاً. ثم سألوا غفران ذنوبهم ووقاهم على الإيمان الذي أخبروا به في قولهم: (فآمنا). ثم سألوا الله الجنة وأن لايفضحهم يوم القيامة، وذلك هو غاية ما سألوه. وتكرر لفظ (ربنا)خمس مرات كل ذلك على سبيل الاستعطاف وتطلب رحمة الله تعالى بندائه بهذا الاسم الشريف الدال على التربية والملك والإصلاح[1] أ هـ .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي[2]: ثـــم وصف أولي الألباب بأنهم: (يذكرون الله) في جميع أحوالهم ﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب ويدخل في ذلك الصلاة قائماً فإن لم يستطع فقاعداً فإن لم يستطع فعلى جنب. وأنهم ﴿يتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ أي: ليستدلوا بها على المقصود منها ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين فإذا تفكروا بها عرفوا أن الله لم يخلقها عبثاً. فيقولون: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك﴾ عن كل ما لايليق بجلالك، بالحق وللحق، بل خلقتها مشتملة على الحق (فقنا عذاب النار) بأن تعصمنا من السيئات وتوفقنا للأعمال الصالحات لنال بذلك النجاة من النار. ويتضمن ذلك سؤال الجنة؛ لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة. ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم.

﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد خزيته﴾ أي: لحصوله على السخط من الله ومن

(١) انظر البحر: ٣/٤٧٥ -٤٧٦.

(٢) أبو عبدالله، عبدالرحمن بن ناصـــر، بن عبـــد الله، بن ناصر آل سعدي، من قبيلة تميم توفي ١٣٧٦هـ .

ملائكته وأوليائه ووقوع الفضيحة التي لانجاة منها ولامنقـــذ منها. ولهذا قال: ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ ينقذونهم من عذابه. وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم. ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان﴾ وهو محمد ﷺ يدعو الناس إليه ويرغبهم فيه في أصوله وفروعه ﴿فآمنا﴾ أي: أجبناه مبادرة وسارعنا إليه. وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات والذي من عليهم بالإيمان يمن عليهم بالأمان التام. ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ يتضمن هذا الدعاء التوفيق لفعل الخير وترك الشر الذي به يكون العبد مع الأبرار، والاستمرار عليه، والثبات إلى الممات. ولما ذكروا توفيق الله إياهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة سألوه الثواب على ذلك وأن ينجز لهم ما وعدهم به على ألسنة رسله، من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز برضوان الله وجنته في الآخرة فإنه تعالى لايخلف الميعاد فأجاب الله دعاءهم وقبل تضرعهم[1] أ هـ.

٣٥– قوله تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾ النساء: ٧

بينه –سبحانه– ذلك بقوله: ﴿مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾ أي: من جميع ما ترك سواءً ترك قليلاً أو كثيراً، مالاً أو استحقاقاً، كما بين أن ذلك فرض مؤكد لايحل منه شيء لغير مستحقه.

قال الزمخشري: (مما قل منه أو كثر) بدل (مما) بتكرير العامل و(نصيباً مفروضاً) نصب على الاختصاص بمعنى أعنى نصيباً مفروضاً مقطوعاً واجباً

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن: ١/٣٠٤–٣٠٥ .

لابدلهم من أن يحوزوه ويستأثروا به، ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد.أه[1] وكذا قال غيره من المعربين [2].

٣٦– قوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾ النساء: ١١

بينه –سبحانه– هذه الوصية بقوله: ﴿للذكر مثل حظ الانثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف﴾.

قال الزمخشري: ﴿يوصيكم الله﴾ يعهد إليكم ويأمركم ﴿في أولادكم﴾ في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة، وهذا إجمال تفصيله ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾ أه [3].

وقال ابن كثير: أي يأمركم بالعدل فيهم، فإن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث، فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث، وفاوته بين الصنفين فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب وتحمل المشاق فناسب أن يعطي ضعفي ما تأخذه الأنثى أه [4].

٣٧– قوله تعالى: ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾ النساء: ٩٥

بين الله –تبارك وتعالى– هذا الأجر العظيم بقوله: ﴿درجات منه ومغفرة

(١) انظر تفسيره: ١/٢٤٩ .

(٢) انظر التبيان في إعراب القرآن: ١/٣٣٢-٣٣٣ .

(٣) انظر تفسيره: ١/٢٥١ .

(٤) انظر تفسيره: ١/٤٦٨ .

ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً﴾[١] قال الزجاج: (درجات) في موضع بدل من قوله: ﴿أجراً عظيماً﴾، وهو مفسر للأجر، المعنى فضل الله المجاهدين درجات ومغفرة ورحمة، وجائز أن يكون منصوباً على التوكيد لـــ (أجراً عظيماً) لأن الأجر العظيم هو رفع الدرجات من الله جل وعز والمغفرة والرحمة، كما تقول: لك على ألف درهم، لأن قولك: على ألف درهم هو اعتراف، فكأنك قلت: أعرفها عرفاً، وكأنه قيل: غفر الله لهم مغفرة، وأجرهم أجراً عظيماً، لأن قوله: أجراً عظيماً فيه معنى غفر ورحم وفضل[٢] أ هـ .

قلت: وعلى كلا الاحتمالين هو تفسير لما قبله، وقد ذكر ذلك أيضاً ابن جرير[٣]، والقرطبي[٤] وابن كثير[٥] –رحم الله الجميع.

قوله: (درجات) عن أبي هريرة[٦] –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل من الدرجتين كما بين السماء والأرض»[٧].

---

(١) النساء: ٩٦.

(٢) انظر معاني القرآن: ٢/٩٣-٩٤ .

(٣) انظر تفسيره: ٩ /٩٨ .

(٤) انظر تفسيره: ٥/٣٤٤ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٥٥٤ .

(٦) هو صاحب رسول الله -ﷺ- وراوي حديثه، عبدالرحمن بن صخر الدوسي، على المشهور، كان حافظاً للسنة-رضي الله عنه- مات: ٥٩هـ . انظر الإصابة: ٤/٣٠٠، والأعلام: ٣/٣٠٨.

(٧) أخرجه البخاري في الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله: انظر صحيحه مع الفتح: ٦/١١

وقيل: أراد بالدرجات الإسلام، والهجرة والجهاد والشهادة في الجهاد[1].

٣٨– قوله تعالى : ﴿ يسألونك ماذا أحل لهم ﴾ المائدة ٤

بينه –سبحانه– بقوله: ﴿قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن سريع الحساب * اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان﴾ [2].

عن أبي رافع قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب فقال الناس: يا رسول الله ما أحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها فأنزل الله ﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين﴾» [3].

والطيبات: كل ما يستطاب ويستلذ ولم يرد دليل بتحريمه ومن ذلك الذبائح على اسم الله [4].

وقوله تعالى : ﴿وما علمتم﴾ أي: وصيد ما علمتم من الكلاب والفهود والطيور،[5] ويشترط لذلك أربعة شروط:

الأول: أنه يكون الجارح معلماً لقوله: ﴿وما علمتم من الجوارح﴾ ولقوله ﷺ :

---

(١) انظر السمعاني: ١/٤٦٨.

(٢) المائدة: ٤، ٥ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣١١) وصححه ووافقه الذهبي . .

(٤) انظر ابن جرير : ٩/٥٤٨ وابن كثير: ٢/١٧ والبغوي: ٣/١٥-١٦.

(٥) انظر المراجع السابقة .

«إذا أرسلت كلبك المعلم»[١] وهذا باتفاق[٢].

الثاني: أن يرسل الجارحة قاصداً للصيد، فإن لم يقصد الصيد. لم يجز له الأكل مما أمسكت الجارحة، وهذا على الصحيح من أقوال العلماء وهو مذهب الأئمة الأربعة[٣]. لقوله ﷺ: «إذا أرسلت كلبك المعلم»[٤] والإرسال يستلزم النية والقصد.

الثالث: التسمية على الراجح[٥] لقوله تعالى: ﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ ولقوله ﷺ-:«إذا أرسلتك كلبك المعلم وسميت»[٦].

الرابع: أن يمسك على صاحبه لا لنفسه لقوله ﷺ : «وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه»[٧] وهذا قول أكثر أهل العلم[٨]. وقد رجحه ابن جرير[٩] وابن كثير[١٠]. قال ابن كثير: فمتى كان الجارح معلماً، وأمسك على صاحبه، وكان قد ذكر اسم الله عليه وقت إرساله حل الصيد وإن قتله بالإجماع أه [١١].

(١) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد برقم (٥٤٨٤) ومسلم في الصيد والذبائح رقم (١٩٢٩) .

(٢) انظر كتاب الأطعمة: ١٧٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص١٨٢ .

(٤) الحديث السابق .

(٥) انظر المرجع السابق ص١٨٩.

(٦) الحديث السابق .

(٧) الحديث السابق .

(٨) انظر معالم التنْزيل: ١٦/٣ وابن كثير: ١٨/٢ .

(٩) انظر تفسيره: ٥٦٤/٩ .

(١٠) انظر تفسيره: ١٨/٢ . .

(١١) انظر تفسيره: ١٨/٢.

وقوله تعالى : ﴿اليوم أحل لكم الطيبات﴾ تأكيد لقوله: ﴿قل أحل لكم الطيبات﴾ و قوله: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ أي: ذبائحهم[1] وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء[2].

وقوله تعالى : ﴿والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ﴾ اختلف العلماء في المراد بالمحصنات هنا على قولين:

الأول: أن المراد منهن الحرائر فأجاز نكاح كل حرة مؤمنة كانت أو كتابية، فاجرة كانت أو عفيفة، وهذا مذهب أكثر أهل العلم، وقد رجحه ابن جرير[3] قال القرطبي: وهذا القول الذي عليه جلة العلماء [4].

الثاني: أن المراد بهن العفيفات من المؤمنات والكتابيات، سواء كن حرائر أو إماء، وهذا ما رجحه ابن كثير –رحمه الله– قال: والظاهر من الآية أن المراد بالمحصنات العفيفات عن الزنا كما قال في الآية الأخرى: ﴿محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾[5][6].وقـــوله تعالى: ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ أي: مهورهن[7] وقوله: ﴿محصنين﴾ أي: اعفاء عن الزنا غير معلنين به[8] وقوله: ﴿ولا متخذي أخدان﴾ أي: صديقات منفردين بهن [9].

(١) انظر ابن جرير: ٩/٥٧٣، ومعالم التنْزيل ٣١/١٨ .

(٢) انظر ابن كثير: ٢/٢١ .

(٣) انظر تفسيره: ٩/٥٨٨-٥٨٩، ومعالم التنْزيل: ٣/١٩ .

(٤) انظر تفسيره: ٦/٧٩ .

(٥) النساء: ٢٥ .

(٦) انظر تفسيره: ٢/٢٢ .

(٧) انظر ابن جرير: ٩/٥٩٠، ومعالم التنْزيل: ٣/١٩ .

(٨) انظر ابن جرير: ٩/٥٩٠، ومعالم التنْزيل: ٣/١٩ .

(٩) انظر ابن جرير: ٩/٥٩٠ .

٣٩- قوله تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ المائدة: ٥٥

بين الله -تبارك وتعالى- قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ بقوله: ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [١] فذكر -تبارك وتعالى- أخص أوصاف المؤمنين ليتميزوا من غيرهم ممن ادعى الإيمان ظاهراً وقلبه مطمئن بالكفر.

قال أبوحيان: هذه أوصاف ميز الله بها المؤمن الخالص الإيمان من المنافق؛ لأن المنافق لايدوم على الصلاة ولا على الزكاة. قال الله تعالى : ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿أشحة على الخير[٣]﴾ [٤] أهـ .

قال ابن كثير: وأما قوله: (وهم راكعون) فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله: (ويؤتون الزكاة) أي: في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى، وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثراً عن علي بن أبي طالب أن هذه الآية نزلت فيه وذلك أنه مر به سائل في حال ركوعه فأعطاه خاتمه[٥] أهـ.

ثم قال – بعد ذكر الروايات في ذلك-: وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها[٦] أ هـ .

(١) المائدة: ٥٦ .

(٢) النساء: ١٤٢ .

(٣) الأحزاب: ١٩ .

(٤) انظر تفسيره: ٤/٣٠٠-٣٠١ .

(٥) انظر تفسيره: ٢/٧٣ .

(٦) انظر المرجع السابق .

وقال ابن عطية: ومن المفسرين من جعل ﴿وهم راكعون﴾ حالاً من ضمير ﴿يؤتون الزكاة﴾ وليس فيه معنى أن تؤتى الزكاة في حالة الركوع، وركبوا هذا المعنى على خبر تعددت رواياته وكلها ضعيفة أ هـ [1].

وقال أبوحيان : والظاهر من قوله: ﴿وهم راكعون﴾ أنها جملة اسمية، معطوفة على الجمل قبلها، منتظمة في سلك الصلاة أ هـ [2].

٤٠– قوله تعالى : ﴿ ثم عموا وصموا ﴾ المائدة: ٧١

بين – سبحانه– أن ذلك ليس حاصلاً من الجميع بل حصل من الأكثر بقوله تعالى: ﴿كثير منهم﴾ .

وقد اختلف المعربون في (كثير) على أربعة أقوال:

الأول: أنه بدل من الضمير في (عموا وصموا) ومفسره[3] وهذا هو ظاهر الآية.

الثاني: أن هذا على لغة (أكلوني البراغيث) فيكون كثير فاعلاً [4].

الثالث: أنه خبر لمبتدأ مفهوم من السياق والتقدير: العَمى والصَمَمُ كثير أو العُميُ والصُّمُ كثير منهم [5].

الرابع: أنه مبتدأ والجملة الفعلية قبله خبر[6].

---

(١) انظر تفسيره: ٦/٢٤٠ .

(٢) البحر: ٤/٣٠١ .

(٣) انظر الزمخشري: ١/٣٥٥، والزجاج: ٢/ ١٩٥ والدر المصون: ٤/٣٧١ .

(٤) انظر المراجع السابقة .

(٥) انظر مشكل القرآن لمكي: ١/٢٤١ .

(٦) انظر الدر المصون : ٤/٤٧٢ .

٤١– قوله تعالى : ﴿أوكفارة﴾ المائدة: ٩٥.

بينه قوله –سبحانه–: ﴿طعام مساكين﴾، وهذا على قراءة الرفع ظاهر، أما على قراءة الخفض فقالوا: إن الشيء قد يضاف إلى نفسه كما في قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾[١] فأضاف الحق إلى اليقين وهما واحد. وكما قال تعالى: ﴿ولدار الآخرة﴾[٢][٣] . وقال آخرون: إنما جاز ذلك لاختلاف اللفظين[٤] وقال الفارسي[٥]، ومن أضاف الكفارة إلى الطعام فلأنه لما خير المكفر بين ثلاثة أشياء: الهدي، والطعام، والصيام استجاز الإضافة لذلك، فكأنه قال: كفارة طعام لاكفارة هدي، ولاكفارة صيام فاستقامت الإضافة عنده لكون الكفارة من هذه الأشياء أه [٦].

أما مقدار الطعام فيحدده قيمة المثل، فيقوم المثل بالدراهم، ويشتري بالدراهم طعاماً يتصدق به [٧].

٤٢– قوله تعالى : ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك﴾ المائدة: ١١٠

بين –تبارك وتعال– هذه النعمة التي أنعمها على عبده ورسوله عيسى

(١) الواقعة : ٩٥ .

(٢) يوسف: ١١٠ .

(٣) القراءتان سبعيتان – انظر الحجة لابن زنجلة ص٢٣٧ والحجة للفارسي: ٢٥٨/٢ .

(٤) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ص٢٣٧ .

(٥) أبوعلي، الحسن بن أحمد بن عبدالغفار، الفارسي، عالم بالعربية مات ٣٧٧هـ . انظر نزهة الألباء: ٢٢٣. والإعلام: ١٧٩/٢ .

(٦) انظر الحجة: ٢٥٨/٢ .

(٧) انظر معالم التنزيل: ٩٨/٣ وابن كثير: ١٠٣/٢ .

عليه السلام – بقوله: ﴿إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين. وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾.

والمراد بروح القدس جبريل عليه السلام. وقوله: ﴿في المهد﴾ أي: صغيراً. وقوله: ﴿وإذ علمتك الكتاب والحكمة﴾ الخط والفهم.

وقوله: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ أي: تصوره وتشكله على هيئة الطير.

وقوله: ﴿وتبرئ الأكمه﴾ قال البخاري: قال مجاهد: الأكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل[1]. وقوله: ﴿وإذ تخرج الموتى﴾ أي: تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله ومشيئته.

وقوله: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين﴾ وحي إلهام[2].

٤٣– قوله تعالى: ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به﴾ المائدة: ١١٧

بينه –سبحانه– بقوله: ﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ فهذا هو الذي أمره به الله سبحانه وهو ما قال لهم ودعاهم إليه، وهي دعوة جميع الرسل قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[3][4].

---

(١) الصحيح مع الفتح، كتاب الأنبياء: ٦/٤٧١ .

(٢) انظر هذه المفردات في تفسير ابن كثير: ٢/١١٨-١١٩، وابن عطية ٢/٢٥٧-٢٥٨، والبغوي: ٣/١١٦ .

(٣) النحل: ٣٦ .

(٤) انظر القرطبي: ٦/٣٧٦، وابن عطية: ٢/٢٦٣ .

٤٤– قوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءوك يجادلونك﴾ الأنعام: ٢٥

فسر –تبارك وتعالى– هذه المجادلة بقوله: ﴿يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ قال الزمخشري: وقوله: ﴿يقول الذين كفروا﴾ تفسيرله، والمعنى: أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك، وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب أه [١].

٤٥– قوله تعالى : ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ الأنعام: ٥٤

بينه قوله–تبارك وتعالى–: ﴿أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾. فبين بهذا أن المراد بالرحمة هنا غفران ذنوب التائبين المصلحين، ولاريب أن ذلك من رحمته الواسعة وفضله العميم، وإحسانه، ولطفه.

وفي الهمزة من قوله: (أنه) قراءتان إحداهما بالفتح على البدلية، والأخرى بالكسر على الاستئناف[٢] وعلى كلتيهما الجملة مفسرة للرحمة.

قال الشوكاني:[٣] فعلى القراءة الأولى تكون هذه الجملة بدلاً من الرحمة، أي: كتب ربكم على نفسه أنه من عمل إلى آخره. وعلى القراءة الثانية: تكون هذه الجملة مفسرة للرحمة بطريق الاستئناف[٤] أ هـ.

وقال أبوالسعود: وقوله تعالى : ﴿أنه من عمل منكم سوءاً﴾ بدل من الرحمة

(١) انظر تفسيره: ٢/٨–٩ .

(٢) القراءاتان سبعيتان، انظر حجة القراءات ص٢٥٢ .

(٣) محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، الشوكاني، فقيه، مجتهد، ذو باع طويل في التفسير، وأصول الفقه وعلوم الشريعة، من أهل صنعاء مات ١٢٥٠هـ . انظر الأعلام: ٦/٢٩٨ .

(٤) انظر تفسيره: ٢/١٢٥ .

وقرئ بكسر (إنه) على أنه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف[1] أهـ.

وقوله: ﴿بجهالة﴾ قال مجاهد: كل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينـــزع عن معصيته، وكذا قال قتادة وأبوالعالية.

وعن مجاهد: الجهالة العمد، وبه قال الضحاك. وقال عكرمة: الدنيا كلها جهالة[2].

وقال الزجاج: ومعنى ﴿يعملون السوء بجهالة﴾ أي: ليس بأنهم يجهلون أنه سوء. لو أتى المسلم ما يجهل أنه سوء لكان كمن لم يتعمد سوءاً ولم يوقع سوءاً. وقولك: عمل فلان كذا وكذا بجهالة يحتمل أمرين:

أحدهما: أنه عمله وهـــو جاهل بالمكروه فيه، أي لـــم يعرف أن فيه مكروهاً.

والآخر: أقدم عليه على بصيرة، وعلم أن عاقبته مكروهة، فآثر القليل على الراحة الكثيرة والعافية الدائمة[3] أهـ.

وهذا ما رجحه ابن جرير[4]، وابن عطية[5]، وجمع من المفسرين.

وقال أبو السعود: أي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار. والتقييد بذلك للإيذان بأن المؤمن لا يباشر ما يعلم أنه يؤدي إلى الضرر أو عمله متلبساً بجهالة [6] اهـ.

---

(١) انظر تفسيره: ٣/١٤٠ .

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري: ٨ / ٨٩-٩١ .

(٣) انظر معاني القرآن: ٢/٢٥٤ .

(٤) انظر تفسيره: ٨/٩١ .

(٥) انظر تفسيره: ٢/٢٩٧ .

(٦) انظر تفسيره: ٣/١٤٠-١٤١.

٤٦- قوله تعالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً﴾ الأنعام: ١١٢

بين -تبارك وتعالى- هذا العدو بقوله: ﴿شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾. فبين سبحانه أن أعداء الرسل وأتباعهم إنما هم شياطين الثقلين، أعداء الهدى، وأنصار الغواية، ودعاة الضلال والردى. قال البغوي: ثم فسرهم فقال: ﴿شياطين الإنس والجن﴾ [١] أ هـ. وقوله: ﴿شياطين الإنس والجن﴾.

قال عكرمة والضحاك والسدي: معناه شياطين الإنس التي مع الإنس، وشياطين الجن التي مع الجن، وليس في الإنس شياطين[٢].

وقال قتادة ومجاهد والحسن: إن من الإنس شياطين كما أن من الجن شياطين[٣]. والشيطان المتمرد العاتي من كل شيء.

عن أبي ذر[٤]-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل مؤخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل مؤخرة الرحل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود. قلت: يا أباذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: الكلب الأسود شيطان»[٥].

---

(١) انظر تفسيره: ١٧٩/٢ .

(٢) انظر تفسير ابن جرير: ٥١/١٢-٥٢، وتفسير البغوي: ١٧٩/٢ .

(٣) انظر المراجع السابقة .

(٤) جندب بن جنادة، صاحب رسول الله ﷺ ورضي عنه من بني غفار، من أجلاء الصحابة يضرب به المثل في الصدق . مات ٣٢هـ . انظر السير: ٤٦/٢، والأعلام: ١٤٠/٢.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: قدر ما يستر المصلي، حديث رقم (٥١٠) ٣٠٣/٤.

والذي يظهر والله أعلم أن المراد الشياطين من الجنسين يدل عليه ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول اللهﷺ: «هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس؟ فقلت يا رسول الله وهل للإنس من شياطين؟ قال: نعم»[1].

٤٧– قوله تعالى : ﴿ومن الأنعام حمولةً وفرشاً﴾ الأنعام: ١٤٢

بين الله –سبحانه– أصناف ذلك بقوله: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾[2] ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾[3] أي: ذكر وأنثى من كل واحد من هذه الأربعة، فمجموعها ثمانية. ومن هذه الثمانية ركوبهم وطعامهم كما قال تعالى: ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون﴾[4] وذلك هو الحمولة والفرش، فعليها يحملون ويركبون ومنها يأكلون ويحلبون. قال ابن جرير: ثم بين –جل ثناؤه– ﴿الحمولة﴾ فقال: ﴿ثمانية أزواج﴾ وإنما نصب الثمانية لأنها ترجمة عن الحمولة والفرش وبدل منها. كأن معنى الكلام: ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج، فلما قدم قبل ﴿الثمانية﴾ ﴿الحمولة والفرش﴾ بين ذلك بعد فقال: ﴿ثمانية أزواج﴾ على ذلك المعنى[5] أ هـ. قال الفراء:

---

(١) أخرجه النسائي في الاستعاذة، باب الاستعاذة من شياطين الإنس: ٢٧٥/٨ والإمام أحمد في المسند: ٢٦٥/١. وابن جرير في تفسيره: ٥٣/١٢ وقال ابن كثير – بعد أن ذكر طرق الحديث: فهذه طـــرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوتـــه وصحته. والله أعلم .أهـ . تفسيره: ١٧٢/٢ .

(٢) الأنعام: ١٤٣ .

(٣) الأنعام: ١٤٤ .

(٤) يس: ٧١، ٧٢ .

(٥) انظر تفسيره: ١٨٣/١٢ .

وقوله: ﴿ثمانية أزواج﴾ الذكر زوج والأنثى زوج[١] أ هـ. يعني ثمانية أفراد. وكل فرد عند العرب يحتاج إلى آخر يسمى زوجاً فيقال: للذكر زوج وللأنثى زوج. ويقع لفظ الزوج للواحد وللاثنين، يقال: هما زوجان وهما زوج[٢] أ هـ.

٤٨- قوله تعالى : ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما﴾ الأنعام: ١٦١

بين الله – تبارك وتعالى– هذا الدين الذي هُدي إليه محمدٌ ﷺ وجاء به بقوله: ﴿ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ فدين الإسلام هو دين إبراهيم فبطل بذلك ادعاء المشركين أنهم على ملة إبراهيم، فملة إبراهيم هي التوحيد الخالص لله –تبارك وتعالى– وهو ما جاء به محمد ﷺ .

قال أبوحيان: أذكرهم أن هذا الدين الذي هو عليه هو ملة إبراهيم، وهو النبي الذي يعظمه أهل الشرائع والديانات وتزعم كفار قريش أنهم على دينه فردالله عليهم بقوله: ﴿وما كان من المشركين﴾[٣] أ هـ.

وقال الطاهر ابن عاشور: والملة الدين، فهي مرادفة الدين، فالتعبير بها هنا للتفنن[٤]. وقال: ومعنى كون الإسلام ملة إبراهيم أنه جاء بالأصول التي هي شريعة إبراهيم وهي التوحيد ومسايرة الفطرة، والشكر، والسماحة، وإعلان الحق[٥].

(١) انظر معاني القرآن: ٣٥٩/١ .

(٢) انظر تفسيره: ١١٣/٧ .

(٣) انظر البحر: ٧٠٣/٤ .

(٤) انظر التحرير والتنوير: ١٩٩/٨ .

(٥) انظر المرجع السابق: ٢٠٠/٨ .

٤٩ – قوله تعالى : ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ الأعراف: ٤٤

بين –جل ثناؤه– الظالمين بقوله: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون﴾ [١]، فالظالمون هناهم الكفار، ولايدخل فيهم أهل الفسق.

قال أبو حيان: والمعنى بالظلم الكفار، ويدفع قول من قال: إنه عام في الكافر والفاسق قوله أخيراً: ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾؛ لأن الفاسق ليس كافراً بالآخرة، بل مؤمن، مصدق بها أه[٢]. وكذا قال الطاهر بن عاشور[٣]، وابن جرير[٤]، والبغوي[٥]، والقرطبي[٦]، وابن عطية[٧].

قال ابن كثير: ثم وصفهم بقوله: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً﴾ أي: يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء، ويبغون أن يكون السبيل معوجة غير مستقيمة حتى لايتبعها أحد ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ أي: وهم بلقاء الله في الدار الآخرة كافرون أي: جاحدون مكذبون بذلك لا يصدقونه ولايؤمنون به فلهذا لايبالون بما يأتون من منكر من القول والعمل؛ لأنهم لايخافون حساباً ولاعقاباً، فهم شر الناس أقوالاً وأعمالاً أه[٨].

---

(١) الأعراف: ٤٥ .

(٢) انظر تفسيره: ٥ /٥٦ .

(٣) انظر تفسيره: ٨/١٣٠ .

(٤) انظر تفسيره: ١٢/٤٤٨ .

(٥) انظر تفسيره: ٢/٢٣١ .

(٦) انظر تفسيره: ٧/٢١٠ .

(٧) انظر تفسيره: ٢/٤٠٣ .

(٨) انظر تفسيره: ٢/٢٢٥.

٥٠- قوله تعالى ﴿قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ الأعراف: ٥٠

بين الله تعالى صفاتهم بقوله: ﴿الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا﴾[١].

قال ابن كثير: ثم وصف الله تعالى الكافرين بما كانوا يعتمدونه في الدنيا باتخاذهم الدين لهواً ولعباً واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها عما أمروا به من العمل للآخرة[٢] أ هـ.

وقوله تعالى : ﴿الذين اتخذوا دينهم﴾ أي: الديـــن الذي كان يجـــب عليهم أن يدخلوا فيه ويعملوا به. وقيل: المراد الدين الذي هم عليه كما فعلوا بالأنعام والأولاد من تلك الجهالات والضلالات.

وقيل: المراد بالدين هنا العيد. أي: اتخذوا عيدهم لعباً ولهواً ذكر هذا الشوكاني[٣].

٥١- قوله تعالى : ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ الأعراف: ٧٥

الضمير في قوله: (منهم) يحتمل العود إلى (قومه) ويحتمل العود إلى ﴿الذين استضعفوا﴾ فعلى الأول يكون بدل كل من كل، وعلى الثاني يكون بدل بعض من كل، وعلى كلا الاحتمالين يكون قوله: ﴿لمن آمن منهم﴾ مفسراً لقوله: ﴿للذين استضعفوا﴾ وبياناً له، فعلى الأول يكون بياناً بأن المستضعفين هم المؤمنون.

(١) الأعراف: ٥١.

(٢) انظر تفسيره: ٢/٢٢٨ .

(٣) انظر تفسيره: ٢/١٣٤ .

وعلى الثاني يكون بياناً بأن هذا القول موجه لمن آمن من المستضعفين لا لجميعهم.

قال الزمخشري: و ﴿لمن آمن منهم﴾ بدل من الذين استضعفوا. فإن قلت: الضمير في (منهم) راجع إلى ماذا؟ قلت: إلى قومه أو إلى ﴿الذين استضعفوا﴾. فإن قلت: هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى؟ قلت: نعم وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل (من آمن) مفسراً لمن استضعف منهم، فدل أن استضعافهم كان مقصوراً على المؤمنين وإذا رجع إلى ﴿الذين استضعفوا﴾ لم يكن الاستضعاف مقصوراً عليهم ودل على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين[1] أ هـ. وقال أبوحيان نحوه[2].

قلت: سبق أن بينت في أول الكلام أن قوله: (لمن آمن) تفسير وبيان على كلا الاحتمالين، فعلى عود الضمير ﴿منهم﴾ إلى قومه، يكون بياناً للمستضعفين، وعلى عوده إلى ﴿الذين استضعفوا﴾ يكون بياناً بأن هذا القول موجه لمن آمن لا لجميع من استضعف وإن كان الاحتمال الثاني أظهر عندي وهو ما رجحه القرطبي[3] وابن عاشور[4]. والله أعلم.

٥٢- قوله تعالى : ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ الأعراف: ٨٠

بين -تبارك وتعالى- المراد بالفاحشة في قوله: ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من

(١) انظر الكشاف: ٢/٧١-٧٢.

(٢) انظر البحر: ٥/٩٤ .

(٣) انظر تفسيره: ٧/٢٤٠ .

(٤) انظر تفسيره: ٨ / ٢٢٢ .

دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ فبين –تبارك وتعالى– أن الفاحشة هنا المراد بها إتيان الرجال دون النساء.

قال أبو حيان: ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ هذا بيان لقوله: ﴿أتأتون الفاحشة﴾ [١] أ هـ.

وكذا قال السمعاني[٢]، والبغوي[٣]، وأبو السعود[٤]، وابن عاشور.

والفاحشة اسم لكل قبيح من قول أو فعل، وجمعها فواحش وكثيراً ما ترد في القرآن بمعنى الزنا كما في قوله تعالى: ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ [٥]. في سورة النساء[٦]، والطلاق[٧].

٥٣– قوله تعالى: ﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ﴾ الأعراف: ١٤١

بينه قوله –سبحانه–: ﴿يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾.

وقد سبق بيان ذلك عند تفسير آية البقرة.

---

(١) انظر البحر: ٥/١٠٠ .

(٢) انظر تفسيره: ٢/١٩٦ .

(٣) انظر تفسيره: ٣/٢٥٥ .

(٤) انظر تفسيره: ٣/٢٤٥ .

(٥) انظر اللسان مادة: فحش .

(٦) النساء: ١٩.

(٧) الطلاق: ١ .

٥٤- قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾

الأعراف: ١٨٧

بينه -عزوجل- بقوله: ﴿قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم إلا بغتة. يسألونك كأنك حفي عنها، قل إنما علمها عند الله، ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾.

وقوله: ﴿أيان مرساها﴾ متى قيامها ومنتهاها ؟.

وقوله: ﴿عند ربي﴾ أي: لايعلمها إلا هو.

وقوله: ﴿لايجليها لوقتها إلا هو﴾ أي: لايأتي بها ويظهرها إلا الله.

وقوله: ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ أي: ثقل علم وقتها على أهل السموات والأرض، وقال بعضهم ثقل مجيئها على أهل السموات والأرض، وكل ذلك صحيح.

وقوله: ﴿كأنك حفي عنها﴾ كأنك بها عالـــم وقد أخفى الله علمها عن خلقه[1].

وقد ثبت في الصحيح أن جبريل – عليه السلام – قال لرسول الله ﷺ: «فأخبرني عن الساعة. فقال ﷺ: ما المسئول عنها بأعلم من السائل[2] وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهﷺ : لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولايطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه

(١) انظر تفسير هذه المفردات في ابن جرير: ١٣/٢٩١-٣٠٠ وابن كثير: ٢/٢٨٢-٢٨٣، والبغوي: ٣/٣٠٩-٣١٠ .

(٢) أخرجه مسلم برقم (١) .

ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها»[١].

٥٥- قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ الأنفال: ١

بينه –سبحانه – بقـــوله: ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ والمعنى يسألونك عن حكم الأنفال، قل ذلك إلى الله والرسول. والأنفال: الغنائم، قاله ابن عباس – رضي الله عنهما– ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة وعطاء وغيرهم،[٢] وهذا مشهور عند العرب.

قال لبيد: [٣].

إن تقوى ربنـــا خير نفـــل وبـــإذن الله ريثي وعجل [٤]

وقال عنترة: [٥].

إنا إذا أحمر الوغى نروي القنا ونعف عند تقاسم الأنفال [٦].

وقد بين الله حكم الأنفال في قوله: ﴿واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله

(١) أخرجه البخاري في الرقاق برقم (٦٥٠٦) .

(٢) انظر ابن جرير: ٣٦١/١٣-٣٦٣، وابن كثير: ٢٩٤/٢.

(٣) هو لبيد، بن ربيعة، بن مالك، بن جعفر، العامري، كان من شعراء الجاهلية المكثرين، ومن فرسانهم المشهورين، أدرك الإسلام وأسلم، ومات في أول خلافة معاوية. انظر الشعر والشعراء: ١٧١ والأعلام: ٢٤٠/٥ .

(٤) انظر ديوانه: ١٣٩ .

(٥) هو عنترة، بن شداد، بن عمرو، بن قراد، بن مخزوم، بن عوف، بن مالك، من بني عبس، صاحب المعلقة شجاع مشهور مات ٢٢ قهـ انظر الشعر والشعراء: ١٥٣، والأعلام: ٩١/٥ .

(٦) البيت في ديوانه من قصيدته التي غرها :

عفت الديار وباقي الأطلال ربح الصبا وتقلب الأحوال

خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ﴾ [1].

٥٦- قوله تعالى : ﴿ يوم الفرقان ﴾ الأنفال: ٤١

بينه قوله –سبحانه –: ﴿يوم التقى الجمعان﴾.

فيوم الفرقان هو يوم بدر الذي التقى فيه جمع المسلمين وجمع المشركين وفرق الله فيه بين الحق والباطل. قال ابن كثير: ويسمى الفرقان لأن الله أعلى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه أهـ [2].

٥٧- قوله تعالى: ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم﴾ الأنفال ٥٢

بينه قوله –سبحانه–: ﴿كفروا بآيات الله فأخذهم بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب﴾ أي: دأب هؤلاء كدأب آل فرعون والذين من قبلهم[3].

وقوله تعالى: ﴿كفروا بآيات الله﴾ تفسير لدأب آل فرعون والذين من قبلهم.

قال الزمخشري: (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون[4] أهـ.

وقال الشوكاني: ﴿كفروا بآيات الله﴾ مفسرة لدأب آل فرعون، أي: دأبهم هذا هو أنهم كفروا بآيات الله[5] أهـ.

وذهب أبوالسعود إلى أن ذلك تفسير لدأبهم لا لدأب آل فرعون. قال:

---

(١) الأنفال: ٤١ .

(٢) انظر تفسيره: ٣٢٦/٢ .

(٣) انظر الكشاف: ١٣١/٢ .

(٤) انظر المرجع السابق: ١٣١/٢.

(٥) انظر تفسيره: ٣٣٧/٢ .

وقوله تعالى : ﴿كفروا بآيات الله﴾ تفسير لدأبهم الذي فعلوه لا لدأب آل فرعون ونحوهم كما قيل، فإن ذلك معلوم منه بقضية التشبيه[١] أ هـ.

والذي يظهر لي أن ذلك تفسير لدأب آل فرعون؛ لأنه من تمام المشبه به، ولايظهر وجه الشبه بين الدأبين إلا به، كما أنه ظاهر الآية، والله أعلم.

قال أبوالسعود: وقوله تعالى : ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها[٢] أ هـ.

قال الزجاج: معناه عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم، فجوزي هؤلاء بالقتل والسبي كما جوزي آل فرعون بالإغراق والإهلاك.

كذا قال بعض أهل اللغة في الدأب أنه العادة. وقال أبو اسحاق– يعني نفسه–: وحقيقة الدأب إدامة العمل، تقول: فلان يدأب في كذ وكذا، أي: يداوم عليه ويواظب، ويتعب نفسه فيه. وهذا التفسير معنى العادة إلا أن هذا أبين وأكشف[٣] أ هـ .

قلت: وكذلك القول في تفسير قوله تعالى : ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين﴾ [٤].

٥٨– قوله تعالى : ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ التوبة: ٣٤

بين –سبحانه– هذا العذاب بقوله: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها

(١) انظر تفسيره: ٤/٢٩ .

(٢) انظر تفسيره: ٤/٢٩ .

(٣) انظر معاني القرآن: ٢/٤٢٠ .

(٤) الأنفال: ٥٤ .

جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [1] عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ: «مامن صاحب ذهب ولافضة، لايؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[2].

قلت وفي الآية مسألتان:

الأولى: أن هذا بعض عذابه لقوله ﷺ : «حتى يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» فقد يدخل النار بعد ذلك فيعذب بأنواع أخرى من العذاب، وقد يمن الله عليه ويدخله الجنة بعد هذا العذاب ولايدخل النار.

الثانية: اختلف العلماء في المراد بالكنْز هنا على قولين:

الأول: أنه كل مال وجبت فيه الزكاة، فلم تؤد، أما إذا أديت زكاته فليس بكنْز وإن بلغ ألوفاً مؤلفة، قاله عمر وابنه وابن عباس وجابر، وأبوهريرة –رضي الله عنهم– وعمر بن عبدالعزيز[3] وعكرمة[4] والسدي[5].

الثاني: أن ما فضل عن حاجة صاحبه كنْز روي هذا عن أبي ذر[6] –

(١) التوبة: ٣٥ .

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الزكاة، باب: أثم مانع الزكاة، حديث رقم (٩٨٧) .

(٣) الخليفـــة الصالح، أبوحفص، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، القرشي، الأموي، مات سنة: ١٠١هـ . انظر السير: ١١٤/٥، والأعلام: ٥٠/٥ .

(٤) انظر تفسير الطبري: ٢١٧/١٤-٢١٩،والشوكاني: ٣٧٥/٢-٣٧٧ .

(٥) انظر تفسير الطبري: ١٤ / ١١٩ .

(٦) انظر تفسير الطبري: ٢٢٠/١٤ .

رضي الله عنه– وروي عن علي[١] –رضي الله عنه– أنه قال: أربعة آلاف نفقة فما زاد فهو كنْز[٢]. قال القرطبي: ولايصح[٣].

والراجح القول الأول – والله تعالى أعلم– لما يأتي:

أولاً: أنه مذهب الصحابة –رضوان الله عليهم– إلا ما روي عن أبي ذر –رضي الله عنه– أما ما روي عن علي –رضي الله عنه– فلايصح كما سبق.

ثانياً: أن الله تعالى جعل الزكاة طهرة للمال، وصاحبه سواء كان نصاباً أو أنصبة عديدة، ولو كان مازاد على حاجة الإنسان كنْزاً يعذب عليه لما طهرته الزكاة ولكان الواجب الخروج منه وإنفاقه، ذكره ابن جرير[٤].

ثالثاً: أن النبي –ﷺ – قال: «ما من صاحب ذهب ولافضة لايؤدي منها حقها» رتب الوعيد على منع الواجب فيها، فدل على أنه إذا أدى حقها خرج من ذلك الوعيد، قل ماله أو كثر.

٥٩– قوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ التوبة: ١١١

بينه قوله –سبحانه–: ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ .

قال أبو السعـــود: ﴿يقاتلون في سبيل الله﴾ استئناف لكن لالبيان ما لأجله الشراء، ولا لبيان نفس الاشتراء، لأن قتالهم في سبيل الله تعالى ليس باشتراء الله

(١) أبو الحسن، علي بن أبي طالب، بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ ورابع خلفائه – رضي الله عنه، قتل سنة ٤٠هـ . انظر الإصابة: ٢/٥٠١-٥٠٣ .

(٢) انظر تفسير الطبري: ١٤/١١٩ .

(٣) انظر تفسيره: ٨/١٢٥ .

(٤) انظر تفسيره: ١٤/٢٢٣ .

تعالى منهم أنفسهم وأموالهم، بل هو بذل لهما في ذلك. بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور، كأنه قيل: كيف يبيعون أنفسهم وأموالهم بالجنة؟ فقيل: يقاتلون في سبيل الله، وهو بذل منهم لأنفسهم وأموالهم إلى جهة الله – سبحانه– وتعريض لهما للهلاك. وقوله: ﴿فيقتلون ويقتلون﴾ بيان لكون القتال في سبيل الله بذلاً للنفس، وأن المقاتل في سبيله باذل لها وإن كانت سالمة غانمة، فإن الإسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف بأحدهما البتة، بل بطريق وصف الكل بحال البعض، فإنه يتحقق القتال من الكل سواءً وجد الفعلان، أو أحدهما منهم، أو من بعضهم، بل يتحقق ذلك وإن لم يصدر منهم أحدهما أيضاً، كما إذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من أحد الجانبين أو لم توجد المضاربة أيضاً فإنه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد أه[1].

قلت: قوله تعالى ﴿فيقتلون ويقتلون﴾ شامل لما قال أبو السعود، إلا أنه جاء على سبيل الغالب، وفيه مدح وثناء عليهم بذلك.

وقوله –سبحانه–: ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله﴾[2]، هذا لبيان صفات المؤمنين الذين اشترى الله منهم أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة، رجح هذا ابن جرير[3] وابن كثير[4] والطاهر بن عاشور[5].

(١) انظر تفسيره: ٤/١٠٥ .

(٢) التوبة: ١١٢ .

(٣) انظر تفسيره: ١٤ / ٥٠٠ .

(٤) انظر تفسيره: ٢/٤٠٦ .

(٥) انظر التحرير والتنوير: ١٠/٤٠ .

وذهب بعضهم إلى أن هذا كلام مستأنف لاعلاقة لـــه بمـــا قبلـــه وأن (التائبون) مبتدأ، خبره (العابدون) وما بعده[١].

وذهب الزجاج إلى أن هذه الأسماء متعاطفة وأن الخبر مقدر أي: لهم الجنة أيضاً [٢]. و(السائحون) هم الصائمون قاله أبوهريرة، وعبدالله بن عباس، وابن مسعود، وعائشة، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وغيرهم[٣]. ورجح ابن عطية: أنهم الجائلون بأفكارهم في ملكوت الله[٤].

والراجح الأول وهو مذهب الصحابة وجماهير المفسرين.

٦٠- قوله تعالى : ﴿كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا﴾ يونس: ٣٣

بين المراد بالكلمة قوله-سبحانه- ﴿أنهم لايؤمنون﴾.

قال الزجاج: أي: حق عليهم أنهم لايؤمنون، فـــ ﴿أنهم لايؤمنون﴾ بدل من (كلمة ربك) [٥] أ هـ وأشار إلى هذا ابن كثير[٦]، وذكر هذا المعنى أبو حيان[٧]، وأبوالسعود[٨]، والشوكاني[٩]، وغيرهم من المفسرين.

(١) انظر تفسير أبي السعود: ١٠٦/٤ .

(٢) انظر معاني القرآن: ٤٧١/٢ .

(٣) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري: ٥٠٢/١٤-٥٠٦ والدر المنثور: ٥٠٣/٣، ٥٠٤.

(٤) انظر تفسيره: ٨٩/٣ .

(٥) انظر معاني القرآن: ١٨/٣ .

(٦) انظر تفسيره: ٤٣٢/٢ .

(٧) انظر تفسيره: ٥٤/٦ .

(٨) انظر تفسيره: ١٤٢/٤ .

(٩) انظر تفسيره: ٤٦٠/٢ .

وجوز بعضهم أن تكون جملة ﴿أنهم لايؤمنون﴾ جملة تعليلية بتقدير اللام، أي: لأنهم لايؤمنون، ويكون المراد بالكلمة العدة بالعذاب[1].

٦١- قوله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ يونس: ٦٢

بينه قوله –سبحانه–: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾[2] فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، وهم درجات في ذلك، بحسب إيمانه وتقواهم. قال ابن عطية: وأولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة، وهذه الآية يعطي ظاهرها أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي، وإنما نبهنا هذا التنبيه حذراً من مذهب الصوفية وبعض الملحدين أه[3].

قال أبو حيان: وإنما قال: حذراً من مذهب بعض الصوفية، لأن بعضهم نقل عنه أن الولي أفضل من النبي، وهذا لايكاد يخطر في قلب مسلم أه[4].

٦٢- قوله تعالى : ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ هود: ١

بين هذا قوله– تبارك وتعالى–: ﴿ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾[5].

(١) انظر البحر: ٥٤/٦، وفتح القدير: ٤٦٠/٢ .

(٢) يونس: ٦٣ .

(٣) انظر تفسيره: ١٢٨/٣ .

(٤) انظر تفسيره: ٨١/٦ .

(٥) هود: ٢، ٣ .

والمراد أن جميع آيات القرآن على اختلاف موضوعاتها، وتنوع أساليبها، تقرر هذا المعنى العظيم، وهو عبادة الله وحده لاشريك. فإن الآيات القرآنية إما أن تكون أمراً بهذه الكلمة وتحقيقها أو نهياً عن ضدها، أو أمراً بما تستلزمه هذه الكلمة أو ما يكملها، أونهياً عن ما تستلزم تركه أو ينقص معناها في القلوب، أو خبراً عما أعد الله لأهلها من النعيم والعقبى الحسنة، أو عما أعد لأعدائها من العذاب والعقبى السيئة، أو قصصاً عما حصل لأهل هذه الكلمة من النصر والتأييد في الدنيا أو حصل لأعدائها من العذاب والهلاك فيها، أو خبراً عن أسماء الله وصفاتها وأفعاله وربوبيته وكل ذلك راجع إلى هذه الكلمة بطريق المطابقة أو التضمن أو الالتزام.

قال ابن القيم –رحمه الله–: فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[1] أ هـ .

قال ابن عاشور: (أن) تفسيرية لما في معنى ﴿أحكمت آياته ثم فصلت﴾ من الدلالة على أقوال محكمة ومفصلة، فكأنه قيل: أوحى إليك في هذا الكتاب أن لاتعبدوا إلا الله، فهذه جملة تفسيرية، لما أحكم من الآيات، لأن النهي عن عبادة غير الله وإيجاب عبادة الله هو أصل الدين، وإليه مرجع جميع الصفات التي ثبتت لله تعالى بالدليل، وهو الذي يتفرع عنه جميع التفاصيل، ولذلك تكرر الأمر بالتوحيد والاستدلال عليه في القرآن[2] أ هـ.

وأجـــاز ابن عطية أن يكون (ألا تعبدوا) خـــبراً، والتقدير: تفصيله ألا تعبـــدوا، قال: ويحتمل أن تكون في موضـــع رفع: على تقدير: تفصيله ألا

(١) مدارج السالكين: ٣/٤٦٩-٤٧٠ .

(٢) انظر تفسيره: ١١/٣١٥-٣١٦ .

تعبدوا[1] أ هـ. وهذا موافق في المعنى لما قاله ابن عاشور.

وذهب ابن جرير إلى أن (أن) مجرورة بحرف مقدر أي: بأن لا تعبدوا[2].

وقال الزجاج: لأن لا تعبدوا إلا الله[3] أ هـ.

٦٣- قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين﴾ هود: ٥٢

في قولـــه: ﴿إني لكم نذير مبين﴾ قراءتان سبعيتان إحداهما بفتح الهمزة[4]، والأخرى بكسرها[5].

وقوله تعالى : ﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾ بدل من قوله: ﴿أني لكم نذير مبين﴾ على قراءة الفتح، فتكون بياناً لهذه النذارة وتفسيراً لها، وكأن المعنى: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ألا تعبدوا إلا الله) ويحتمل أن تكون (أن) مفسرة، وهذا وارد أيضاً في قراءة الكسر.

قال ابن عاشور: وجملة (ألا تعبدوا إلا الله) مفسرة لجملة (أرسلنا) لأن الإرسال فيه معنى القول دون حروفه، ويجوز كـــونها تفسيراً لـــ (نذير) لمـــا في (نذير) من معنى القول. كقوله في سورة نوح: ﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه﴾[6].

---

(١) انظر تفسيره: ١٤٩/٣ .

(٢) انظر تفسيره: ٢٢٨/١٥ .

(٣) انظر معاني القرآن: ٣٨/٣ .

(٤) قرأ بها ابن كثير، وأبوعمرو، والكسائي. انظر حجة القراءات ص٣٣٧ والوافي ص٢٨.

(٥) قرأ بها الباقون. انظر المصدرين السابقين .

(٦) نوح: ٢ .

وهذا الوجه متعين على قراءة فتح همزة (أني) إذا اعتبرت (أن) تفسيرية. ويجوز جعل (أن) مخففة من الثقيلة فيكون بدلاً من (أني لكم نذير مبين).

على قراءة فتح الهمزة واسمها ضمير شأن محذوفاً[١]، أي: أنه لاتعبدوا إلا الله[٢] أهـ.

وقال نحو هذا أبو حيان[٣]، والشوكاني[٤].

٦٤- قوله تعالى : ﴿وتمت كلمة ربك﴾ هود: ١١٩

بين هذه الكلمة قوله -سبحانه-: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ فالكلمة المراد بها هذا الكلام.

قال ابن عاشور: وجملة ﴿لأملأن جنهم﴾تفسير للكلمة بمعنى الكلام[٥] أهـ.

وهـــذه الآيـــة بمعنى قوله تعالى : ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [٦].

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبيﷺ قال: «احتجت النار والجنة. فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون. وقالت هذه: يدخلني الضعفاء

(١) (محذوفاً) مفعول جعل، لأنها معطوفة على الجملة السابقة، والتقدير: ويجوز جعل اسمها ضمير شأن محذوفاً . فلايتوهم أن المؤلف اخطأ .

(٢) انظر تفسيره: ١٢/٤٤ .

(٣) انظر تفسيره: ٦/١٣٩-١٤٠ .

(٤) انظر تفسيره: ٢/٥٠٦ .

(٥) انظر تفسيره: ١٢/١٩٠، وانظر الزمخشري: ٢/٢٣٩. وتفسير أبي السعود: ٤/٢٤٨ والشوكاني: ٢/٥٤٤ . .

(٦) السجدة: ١٣ .

والمساكين. فقال الله –عزوجل– لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء (وربما قال: أصيب بك من أشاء). وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء. ولكل واحدة منكما ملؤها»[1].

٦٥– قوله تعالى : ﴿وشروه بثمن بخس﴾ يوسف: ٢٠

فسر هذا الثمن البخس قوله –سبحانه–: ﴿دراهم معدودة﴾.

قال القرطبي: (دراهم) على البدل، والتفسير له[2] أ هـ.

وقال ابن جرير: وأما قوله: (دراهم معدودة) فإنه يعني عزوجل أنهم باعوه بدراهم غير موزونة، ناقصة غير وافية لزهدهم كان فيه.

وقيل: إنما قيل: (معدودة) ليعلم بذلك أنها كانت أقل من الأربعين لأنهم كانوا في ذلك الزمان، لايزنون ما كان وزنه أقل من أربعين درهماً، لأن أقل أوزانهم وأصغرها كان الأوقية، وكان وزن الأوقية أربعين درهماً. قالوا: إنما دل بقوله: (معدودة) على قلة الدراهم التي باعوه بها[3] أ هـ.

واختلفوا في مقدار هذه الدراهم. فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة: عشرون درهماً[4]. وقال مجاهد: اثنان وعشرون درهماً[5].

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ انظر. مع الفتح: ٤٣٤/١٣ (رقم ٧٤٤٩) ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: ٢٦٤/١٧ (حديث ٢٨٤٦) واللفظ له .

(٢) انظر تفسيره: ١٥٦/٧ .

(٣) انظر تفسيره: ١٢/١٧-١٣ .

(٤) انظر ابن جرير: ١٣/١٧-١٤، وابن كثير: ٤٩٠/٢ .

(٥) انظر ابن جرير: ١٤/١٧-١٥، وابن كثير: ٤٩٠/٢ .

وقال عكرمة: أربعون درهماً [١].

والصواب أنه لم يرد دليل صحيح يبين عدد هذه الدراهم، إلا أنها قليلة زهيدة، لكن لو ثبت النقل عن ابن عباس وابن مسعود تعين المصير إليه –والله أعلم .

٦٦– قوله تعالى : ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾ يوسف: ٧٧

فسر ما أسر به قوله –سبحانه–: ﴿قال أنتم شر مكاناً﴾ فقد أسر هذه الكلمة في نفسه ولم يبدها لهم.

قال الزجاج: وهذا اضمار على شريطة التفسير، لأن قوله: (قال أنتم شر مكاناً) بدل من (ها) في قوله: (فأسرها). المعنى: فأسر يوسف في نفسه قوله: ﴿أنتم شر مكاناً﴾.المعنى –والله أعلم– أنتم شر مكاناً في السرقة بالصحة؛ لأنكم سرقتم أخاكم من أبيكم [٢] أهـ.

وهذا ما رجحه ابن جرير [٣] والبغوي [٤]، والسمعاني [٥]، والزمخشري [٦]، وابن كثير [٧].

---

(١) انظر ابن جرير: ١٥/١٧، وابن كثير: ٤٩٠/٢ .

(٢) انظر معاني القرآن: ١٢٣/٣ .

(٣) انظر تفسيره: ١٩٨/١٧ .

(٤) انظر تفسيره: ٢٦٣/٤ .

(٥) انظر تفسيره: ٥٣/٣ .

(٦) انظر تفسيره: ٢٦٩/٢ .

(٧) انظر تفسيره: ٥٠٤/٢ .

وهذا من الإضمار قبل الذكر، كما قال الشاعر:

أما ويَّ ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر[1]

وكقول الآخر:

جازى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما جوزي سنمار[2]

وقال ابن عطية: والضمير في قوله: (فأسرها) عائد إلى الحزة التي حدثت في نفس يوسف من قولهم .أهـ. ثم قال: وقوله: (أنتم شر مكاناً) الظاهر منه أنه قالها إفصاحاً فكأنه أسر لهم كراهية مقالتهم ثم تهجمهم بقوله: (أنتم شر مكاناً) أي: لسوء أفعالكم[3] أ هـ. وذهب هذا المذهب أبو حيان[4].

قلت: ولكن الراجح ما قدمت لأمرين:

الأول: أن قول ابن عطية ومن وافقه فيه تناقض؛ لأنه لامعنى للإسرار إذا أفصح عنه بقوله: (أنتم شر مكاناً)، لاسيما وأن ذلك في لحظة واحدة، هي ساعة قولهم: (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل).

الثاني: أن ذلك هو الأقرب إلى أخلاق يوسف وأدبه، لاسيما وهو يريد أن يأخذهم شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى الغرض المقصود.

٦٧– قوله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي﴾ يوسف: ١٠٨

بين ذلك قوله –سبحانه–: ﴿أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ فسبيله – صلوات الله وسلامه عليه– وسبيل من سار على طريقته ونهجه الدعوة إلى

(١) البيت لحاتم الطائي . انظر الشعر والشعراء: ١٥٠. وتفسير ابن جرير: ١٩٨/١٧ .

(٢) البيت في تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٢ .

(٣) انظر تفسيره: ٢٦٧/٣ .

(٤) انظر تفسيره: ٣٠٩/٦ .

توحيد الله، وخلع كل معبود من دونه، والدعوة إلى الأخذ بكل ما شرع الله، ونبذ كل ما شرع الجاهليون، وهي دعوة قائمة على العلم والبصيرة، لا على الجهل والعماية.

قال الزمخشري: (هذه سبيلي) هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي، والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان، ثم فسر سبيله بقوله: ﴿أدعوا إلى الله على بصيرة﴾ أي: أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء. و(أنا) تأكيد للمستتر في أدعو (ومن اتبعني) عطف عليه، يريد أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني. ويجوز أن يكون (أنا) مبتدأ. وعلى بصيرة خبراً مقدماً، و (من اتبعني) عطفاً على (أنا)، إخباراً مبتدأ بأنه ومن ابتعه على حجة وبرهان، لا على هوى. ويجوز أن يكون على بصيرة حالاً من (أدعو) عاملة الرفع في (أنا ومن اتبعني) [(١)] أ هـ.

وقال ابن عاشور: وما في جملة (هذه سبيلي) من الإبهام قد فسرته جملة (أدعو إلى الله على بصيرة) [(٢)] أ هـ. وكذا قال أبو حيان[(٣)]، وأبو السعود[(٤)].

قلت: الراجح أن (أنا) تأكيد للمستتر في (أدعو) و (من اتبعني) معطوف عليه وبذلك تكون الآية أشد ترابطاً، وأحسن معنى، فإن الغرض ليس مجرد الدعوة، بل الغرض أن تكون على بصيرة، أما إذا لم تكن على بصيرة فهي مذمومة غير محمودة، فبان بذلك أن المراد إثبات الدعوة إلى الله على علم وبصيرة. وفي ذلك حث للدعاة على العلم –والله أعلم.

(١) انظر الكشاف: ٢/٢٧٧ .

(٢) انظر تفسيره: ١٣/٦٥ .

(٣) انظر تفسيره: ٦/٣٣٣ .

(٤) انظر تفسيره: ٤/٣١٠ .

٦٨- قوله تعالى : ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ الرعد: ١٩

بين الله – تبارك وتعالى– هؤلاء بذكر أهم صفاتهم في قوله: ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق. والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب. والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾ (١).

وكأن هذا جواب سؤال مقدر. من هؤلاء ؟ فجاء الجواب بذكر هذه الأوصاف العظيمـــة.

قال الشوكاني: ثم وصفهم بهذه الأوصاف المادحة فقال: ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾ (٢) أ هـ. وهذا ما رجحه ابن جرير (٣)، والقرطبي (٤).

والعهد هنا شامل لجميع أفراده فيدخل فيه العهد الذين بين الله وبين عباده على توحيده وهو أعظمها ويدخل فيه العهود التي بين العباد أنفسهم.

وقوله: ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ تأكيد للوفاء بالعهد؛ لأن العهد والميثاق بمعنى واحد (٥).

وقال بعضهم: الميثاق أعم من العهد، فالعهد ما بين الله وبين عباده، والميثاق يدخل فيه عهود المخلوقين (٦).

---

(١) الرعد: ٢٠-٢٢ .

(٢) انظر تفسيره: ٣/٨٠ .

(٣) انظر تفسيره: ١٦/٤١٩ .

(٤) انظر تفسيره: ٩/٣٠٧

(٥) انظر البحر: ٦/٣٧٩ .

(٦) انظر التحرير والتنوير: ١٣/١٢٦.

والأول أرجح –والله أعلم.

والذي أمر الله به أن يوصل هي الرحم[١].

٦٩– قوله تعالى : ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ الرعد: ٢٧

بين من أناب بقوله: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ [٢] فالذين أنابوا هم المؤمنون الذين اطمأنت قلوبهم بذكر الله.

قال ابن جرير: والذين آمنوا في موضع نصب رد على (من)، لأن (الذين آمنوا) هم (من أناب)ترجم بها عنها[٣] .أهـ. والى هذا ذهب الزجاج[٤]، وابن عطية[٥]، والزمخشري[٦] والبغوي[٧]، والشوكاني[٨].

ورجح ابن عاشور أن (الذين آمنوا) جملة مستأنفة لابدل، وهي على ذلك بيانية أيضاً، قال: (الذين آمنوا..) استئناف اعتراضي مناسبته المضادة لحال الذين أضلهم الله، والبيان لحال الذين هداهم مع التنبيه على أن مثال الذين ضلوا هو عدم اطمئنان قلوبهم لذكر الله، وهو القرآن؛ لأن قولهم: ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ يتضمن أنهم لم يعدوا القرآن آية من الله، ثم التصريح بعاقبة هؤلاء، والتعريض بضد ذلك لأولئك، فذكرها عقب الجملة السابقة يفيد الغرضين

(١) انظر ابن جرير: ١/٤١٠ . وابن كثير: ٢/٥٢٨ .

(٢) الرعد: ٢٨ .

(٣) انظر تفسيره: ١٦/٤٣٢ .

(٤) انظر معاني القرآن: ٣/ ١٤٧ .

(٥) انظر تفسيره: ٣/٣١١ .

(٦) انظر تفسيره: ٢/٢٨٧ .

(٧) انظر تفسيره: ٤/٣١٥ .

(٨) انظر تفسيره: ٣/٨٢ .

ويشير إلى السببين، ولذلك لم يجعل (الذين آمنوا) بدلاً من (من أناب)، لأنه لو كان كذلك لم تعطف على الصلة جملة (وتطمئن قلوبهم) ولا عطف (وعملوا الصالحات) على الصلة الثانية. فـ (الذين آمنو) الأول مبتدأ، وجملة (ألا بذكر تطمئن القلوب) معترضة، (والذين آمنوا) الثاني بدل مطابق من (الذين آمنوا) الأول، وجملة (طو بى لهم) خبر المبتدأ.أ ه [1].

٧٠- قوله تعالى : ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ إبراهيم: ١

بين المراد بالنور قوله –سبحانه–: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ فهذه الجملة بدل من جملة (إلى النور) وبيان للمراد بالنور، وأنه صراط الله عزوجل، وهو الإسلام والإيمان، والقرآن والسنة، فبأي لفظ فسرته من هذه الألفاظ فذلك حق.

قال الزجاج: ثم بين ما النور فقال: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾[2] أ ه.

وقال الزمشخري: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ بدل من قوله: ﴿إلى النور﴾ بتكرير العامل، كقوله: ﴿للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾[3]، ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف، كأنه قيل: إلى أي نور؟، فقيل: إلى صراط العزيز الحميد[4] أه. وكذا قال أبو السعود[5]، والشوكاني[6]، وغيرهم[7].

---

(١) انظر تفسيره: ١٣٧/١٣ .

(٢) انظر معاني القرآن : ١٥٣/٣ .

(٣) الأعراف: ٧٥ .

(٤) انظر الكشاف: ٢٩٢/٢ .

(٥) انظر تفسيره: ٣٠/٥ .

(٦) انظر فتح القدير: ٩٤/٣-٩٥ .

(٧) انظر البحر: ٤٠٦/٦، والتحرير والتنوير: ١٨١/١٣، والمحرر الوجيز: ٣٢٢/٣ .

٧١- قوله تعالى : ﴿الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ إبراهيم: ٢

فيه قراءتان برفع لفظ الجلالة[١]، وخفضه[٢]، الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الله. أو أنه مبتدأ وخبره ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾. أما الخفض فعلى أنه بدل من (العزيز الحميد)[٣]. أو عطف بيان[٤].

فيكون على قراءة الخفض، من تمام بيان الآية السابقة، وكذلك في حالة الرفع إذا أُعرب لفظ الجلالة خبراً. أما إذا أعرب مبتدأً فتكون جملة مستقلة لا علاقة لها بما قبلها. ولكن الأولى والأحسن أن يعرب في حالة الرفع خبراً لقوة الترابط بين الآيتين. فالقراءتان معناهما واحد.

قال ابن جرير: والصواب من القول عندي أنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء، معناهما واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وقد يجوز أن يكون الذي قرأه بالرفع أراد معنى من خفض في اتباع الكلام بعضه بعضاً، ولكنه رفع لانفصاله من الآية التي قبله، كما قال -جل ثناؤه-: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾[٥] إلى آخر الآية ثم قال:

---

(١) قرأ بذلك نافع وابن عامر وأبو جعفر . انظر حجة القراءات ص٣٧٦، والوافي ص٣٠٢، والمغني ص٢٩١ .

(٢) قراءة الباقين. انظر المراجع السابقة. .

(٣) انظر حجة القراءات ص٣٧٦، والمغني ص٢٩١ .

(٤) انظر الزمخشري: ٢/٢٩٢ .

(٥) التوبة : ١١١ .

﴿التائبون العابدون﴾[1][2] أ هـ.

٧٢- قوله تعالى: ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ إبراهيم: ٢

بين الله – سبحانه – صفاتهم بقوله: ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد﴾[3].

قال ابن عطية و (الذين) بدل من الكافرين، وقوله: (يستحبون) من صفة الكافرين الذين توعدهم قبل. والمعنى: يؤثرون دنياهم وكفرهم وترك الإذعان للشرع على رحمة الله، وسكنى جنته[4] أ هـ.

وقال ابن كثير: ثم وصفهم بأنه يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، أي: يقدمونها ويؤثرونها عليها، ويعملون للدنيا، ونسوا الآخرة، وتركوها وراء ظهورهم، ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ وهي اتباع الرسل ﴿ويبغونها عوجا﴾ أي: ويحبون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة عائلة، وهي مستقيمة في نفسها لايضرها من خالفها ولامن خذلها، فهم في ابتغائهم ذلك في جهل وضلال بعيد من الحق، لايرجى لهم والحالة هذه صلاح[5] أ هـ.

وقيل: إن الموصول في موضع رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين[6]، وقيل: في موضع نصب بإضمار أعني[7]، وقيل: صفة

(١) التوبة: ١١٢.

(٢) انظر تفسيره: ١٦/٥١٣-٥١٤ .

(٣) ابراهيم: ٣ .

(٤) انظر تفسيره: ٣/٣٢٢ .

(٥) انظر تفسيره: ٢/٥٤١ .

(٦) انظر الزمخشري: ٢/٢٩٢ والعكبري: ٢/٧٦٣ .

(٧) انظر المرجعين السابقين .

للكافرين[١] وهذه توافق المعنى المتقدم، وإن اختلف الإعراب.

وأعرب بعضهم الموصول مبتدأ، وجعل الخبر ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾ وقدمه الزمخشري[٢].

قلت: أما ما قدمه الزمخشري فظاهر بعده –والله أعلم– وذلك أن الآيتين بينهما ترابط ظاهر، وعلى هذا الإعراب يضعف الترابط، والصلة بينهما.

وأما من أعربه صفة فيشكل عليه الفصل بين الصفة والموصوف بقوله: ﴿من عذاب شديد﴾.

والظاهر – والله أعلم – أنه بدل أو خبر لمبتدأ محذوف.

٧٣– قوله تعالى : ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾ إبراهيم: ٩

بين الله هذا النبأ في محاورة عجيبة بين الرسل وأقوامهم فقال تعالى:

﴿جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب. قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض، يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى، قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين. قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون. ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون. وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين.

(١) انظر المرجعين السابقين .

(٢) انظر تفسيره: ٢/٢٩٢ .

ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد . واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾[1].

قال أبو حيان: والجملة تفسيرية للنبأ[2] أ هـ.

وكذا قال أبو السعود[3]، والشوكاني[4].

وقوله: ﴿ فردوا أيديهم في أفواههم﴾.

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وابن زيد: عضوا عليها تغيظاً[5].

وقال مجاهد وقتادة: ردوا عليهم قولهم وكذبوهم[6]، يقال: رددت قول فلان في فيه أي: كذبته.

وعلى هذا القول يكون الضمير في (أفواههم) عائداً إلى الرسل.

وقال مقاتل[7]: أي: ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم[8].

والظاهر في معنى الآية ما روي عن عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه– لأن هذا هو المفهوم من رد الأيدي في الأفواه كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾[9].

---

(١) ابراهيم: ٩-١٤ .

(٢) انظر تفسيره: ٤١٢/٦ .

(٣) انظر تفسيره: ٣٦/٥ .

(٤) انظر تفسيره: ٩٨/٣ .

(٥) انظر ابن جرير: ٥٣١/١٦-٥٣٣، والبغوي: ٣٣٨/٤، والدر المنثور: ١٣٥/٤ .

(٦) انظر ابن جرير: ٥٣٤/١٦، والبغوي: ٣٣٨/٤ . والدر المنثور: ١٣٥/٤ .

(٧) هو مقاتل بن حيان، روال دور، محدث ثقة، يكنى أبا بسطام، البلخي مات: ١٥٠هـ تقريباً. انظر السير: ٣٤٠/٦ .

(٨) انظر ابن جرير: ٥٣٥/١٦، والبغوي: ٣٣٨/٤ .

(٩) آل عمران: ١١٩ .

وهذا ما رجحه ابن جرير[١].

وقوله: (واستفتحوا). قال مجاهد وقتادة، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي: استنصرت الرسل على أقوامها[٢]. وهذا ما رجحه ابن جرير[٣].

وقال ابن زيد: يعني الأمم [٤].

٧٤- قوله تعالى : ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً﴾ إبراهيم: ٢٤

بين -سبحانه- هذا المثل بقوله: ﴿كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾[٥].

قال الشوكاني: (كلمة) وما بعدها تفسير للمثل[٦] أهـ .

واختلفوا في إعراب (كلمة).

قال الزمخشري: (كلمة طيبة) نصب بمضمر، أي: جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله: (ضرب الله مثلاً) كقولك: شرف الأمير زيداً كساه حلة وحمله على فرس[٧] أ هـ.

قال أبو حيان: وفيه تكلف إضمار لاضرورة تدعو إليه[٨] أ هـ.

---

(١) انظر تفسيره: ١٦/٥٣٥ .

(٢) انظر ابن جرير: ١٦/٥٤٣-٥٤٥، والدر المنثور: ٤/١٣٧ .

(٣) انظر تفسيره: ١٦/٥٤٢ .

(٤) انظر ابن جرير: ١٦/٥٤٥ .

(٥) إبراهيم: ٢٤-٢٥ .

(٦) انظر تفسيره: ٣ / ١٠٧ .

(٧) انظر تفسيره: ٢/٣٠١

(٨) انظر تفسيره : ٦/ ٤٣١

وقال ابن عطية: و(مثلاً) مفعول بضرب، و(كلمة) مفعول أول بها[1]أهـ .

فهو يرى أن ضرب تتعدى هنا إلى مفعولين.

وذهب العكبري[2]: إلى أن (كلمة) بدل من (مثلاً)[3].

وقوله: (كلمة طيبة). قال ابن عباس –رضي الله عنهما– والربيع: هي شهادة أن لا إله إلا الله.

أي: الأيمان [4].

قال السمعاني: أجمع المفسرون على أن الكلمة الطيبة هاهنا لا إله إلا الله.أهـ[5]. وفي دعوى الإجماع نظر فقد روى عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنها المؤمن نفسه[6].

إلا أن يكون السمعاني –رحمه الله– رأى ألا فرق بين القولين وأن المؤمن لم يكن كذلك على قول من قال ذلك إلا بهذه الكلمة فكانت بذلك أساس المثل والله أعلم.

أما الشجرة الطيبة فروي عن ابن عباس وأنس وابن مسعود –رضي الله عنهم– وهو قول مجاهد وعكرمة وقتادة، والضحاك. أنها النخلة[7].

---

(١) انظر تفسيره: ٣/٣٣٤ –٣٣٥

(٢) أبوالبقاء، محب الدين، عبدالله بن الحسين، العكبري، ثم البغدادي، الأزجي، الضرير، النحوي الفرضي، المتوفي ٦١٦هـ . انظر السير: ٢٢/٩١. والأعلام: ٤/٨٠ .

(٣) انظر التبيان: ٢/٧٦٨

(٤) انظر تفسير ابن جرير: ١٦/٥٦٧–٥٦٨ .

(٥) انظر تفسيره: ٣ / ١٣٣ .

(٦) انظر تفسير ابن جرير: ١٦/٥٦٨ .

(٧) انظر تفسير ابن جرير: ١٦/٥٧١–٥٧٢ .

قال السمعـــاني: أكثر أهل التفسير على أن الشجرة الطيبة هاهنا: هي النخلة[١] أهـ. قلت يؤيد هذا ما روي عن ابن عمر–رضي الله عنهما–أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها وهي مثل المسلم. حدثوني ماهي؟ فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة. قال عبدالله فاستحييت. فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بها. فقال رسول الله ﷺ هي النخلة. قال عبدالله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال: لأن تكون قلتها أحب إليّ من أن يكون لي كذا وكذا»[٢].

وروي عن ابن عباس: أنها شجرة في الجنة[٣].

قال البغوي: والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة: هي أن الشجرة لاتكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال، كذلك الإيمان لايتم إلا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب وقول باللسان، وعمل بالأبدان أهـ[٤].

٧٥– قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار﴾ إبراهيم: ٢٨

بين المراد بدار البوار قوله –سبحانه–: ﴿جهنم يصلونها وبئس القرار[٥]﴾

(١) انظر تفسيره: ٣ / ١١٣ .

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب العلم، باب الحياء في العلم. حديث رقم (١٣١) انظره مع الفتح: ٢٢٩/١ . ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب مثل المؤمن مثل النخلة حديث رقم (٢٨١١)، انظر صحيحه ٢٢٤/١٧ .

(٣) انظر ابن جرير: ١٦ / ٥٧٣ .

(٤) انظر تفسيره: ٣ / ٣٤٧ .

(٥) ابراهيم: ٢٩ .

فدار البوار هي جهنم.

قال الزجاج: (جهنم) بدل من قوله: (دار البوار) ومفسرة[1] أ هـ.

وكذا قال القرطبي[2] وغيره[3].

أما البوار فهو الهلاك، ومنه قول الشاعر:

فلم أرَ مثلهم أبطال حرب غداة الحرب إذ خيف البوار[4]

٧٦- قوله تعالى : ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين﴾ الحجر: ١٢

بين –سبحانه– ذلك بقوله: ﴿لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين﴾[5] فهذا بيان للسلك المذكور في الآية الأولى. وهذه الآية مثل قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين. لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم[6]﴾ وقوله: (نسلكه) قال أنس –رضي الله عنه– والحسن: الشرك[7].

وقال قتادة وابن جريج: التكذيب [8].

وقال الربيع: الاستهزاء [9].

---

(١) انظر معاني القرآن: ٣ / ١٦٢ .

(٢) انظر تفسيره: ٣٦٥/٩ .

(٣) انظر الكشاف: ٣٠٢/٢ . وإرشاد العقل السليم: ٤٥/٥ وابن كثير: ٥٥٨/٢ .

(٤) البيت لم أقف على قائله، وهو في القرطبي: ٣٦٥/٩ . وفتح القدير: ١١٠/٣ .

(٥) الحجر: ١٣ .

(٦) الشعراء: ٢٠٠-٢٠١ .

(٧) انظر تفسير ابن جرير: ٧/١٤، والدر المنثور: ١٧٦/٤ .

(٨) انظر المراجع السابقة .

(٩) انظر شفاء العليل: (٦١-٦٢) .

وقال الزجاج: الضلال [١].

قال ابن القيم –رحمه الله– وهذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد:

التكذيب والاستهزاء والشرك، كل ذلك فعلهم حقيقة، وقد أخبر أنه سبحانه هو الذي سلكه في قلوبهم.

وعندي في هذه الأقوال شيء. فالظاهر أن الضمير في قوله: (لايؤمنون به) هو الضمير في قوله: (سلكناه) فلا يصح أن يكون المعنى: لايؤمنون بالشرك والتكذيب والاستهزاء؛ فلا تصح تلك الأقوال إلا باختلاف مفسر الضميرين، والظاهر اتحاده. فالذي لايؤمنون به، هو الذي سلكه في قلوبهم، وهو القرآن. فإن قيل: فما معنى سلكه في قلوبهم وهم ينكرونه ؟ قيل: سلكه في قلوبهم بهذه الحال، أي: سلكناه غير مؤمنين به، فدخل في قلوبهم مكذباً كما دخل في قلوب المؤمنين مصدقاً به.

وهذا مراد من قال إن الذي سلكه في قلوبهم هو التكذيب والضلال، ولكن فسر الآية بالمعنى، فإنه إذا دخل في قلوبهم مكذبين به، فقد دخل التكذيب والضلال في قلوبهم. فإن قيل: فما معنى إدخاله في قلوبهم وهم لايؤمنون به؟ قيل: لتقوم عليهم بذلك حجة الله، فدخل في قلوبهم وعلموا أنه حق وكذبوا به، فلم يدخل في قلوبهم دخول مصدق به مؤمن به، مرضي به. وتكذيبهم به بعد دخوله في قلوبهم أعظم كفراً من تكذيبهم به قبل أن يدخل في قلوبهم.. فإن المكذب بالحق بعد معرفته له شر من المكذب به ولم يعرفه.

فتأمله فإنه من فقه التفسير والله الموفق للصواب[٢] أ هـ.

---

(١) انظر معاني القرآن: ٣ / ١٧٤ .

(٢) شفاء العليل : ٦١-٦٢ .

٧٧- قوله تعالى : ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ الحجر: ٩١

بينه قوله –سبحانه–: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾[١] .

قال ابن عاشور: وقد أجمل المراد بالمقتسمين إجمالاً بينه وصفهم بالصلة في قوله تعالى : ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾[٢] أ هـ.

وقوله: ﴿المقتسمين﴾ قال ابن عباس –رضي الله عنهما–، وسعيد بن جبير، والحسن: هم أهل الكتاب آمنوا ببعض وكفروا ببعض [٣].

وقال مجاهد: أهل الكتاب فرقوا دينهم وبدلوه[٤].

وقال: عكرمة أهل الكتاب كانوا يستهزؤن بالقرآن فيقولون هذه لي[٥].

وقال قتادة: هم من قريش[٦].

وقال: ابن زيد: هم الذين تقاسموا بصالح – عليه السلام–[٧].

قال ابن جرير–رحمه الله–: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يعلم قومه الذين عضوا القرآن ففرقوه أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته أن يحل بهم على كفرهم ربهم وتكذيبهم نبيهم ما حل بالمقتسمين من قبلهم ومنهم. وجائز أن يكون عني بالمقتسمين أهل الكتابين

---

(١) الحجر: ٩١.

(٢) انظر تفسيره: ١٤/٨٥ . وانظر: إرشاد العقل السليم: ٥/٩١ وروح المعاني: ٧/٨٣.

(٣) انظر ابن جرير: ١٤/٤٢-٤٣ .

(٤) انظر المرجع السابق .

(٥) انظر المرجع السابق.

(٦) انظر المرجع السابق.

(٧) انظر المرجع السابق.

التوراة والإنجيل؛ لأنهم اقتسموا كتاب الله فأقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها وكذبت بالإنجيل والفرقان وأقرت النصارى ببعض الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان.

وجائز أن يكون عنى بذلك المشركين من قريش؛ لأنهم اقتسموا القرآن فسماه بعضهم شعراً وبعض كهانة، وبعض أساطير الأولين، وجائز أن يكون عني به الفريقان، وممكن أن يكون عني به المقتسمون على صالح من قومه. فإذ لم يكن في التنْزيل دلالة على أنه عني به أحد الفرق ثلاثة دون الآخرين، ولافي خبر عن رسول الله ﷺ ولا في فطرة عقل، وكان ظاهر الآية محتملاً ما وصفت وجب أن يكون مقضياً بأن كل من اقتسم كتاباً لله بتكذيب بعضه وتصديق بعض وأقتسم على معصية الله ممن حل به عاجل نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية، فداخل؛ لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله كانوا عبرة وللمتعظين بهم منهم عظة[1] أ هـ.

قلت: التفاسير السابقة إنما هي أمثلة متفقة غير مختلفة والله أعلم.

وقوله: ﴿عضين﴾ قال البغوي: قيل: هو جمع عضو مأخوذ من قولهم: عضَّيت الشيء تعضية، إذ فرقته. ومعناه: أنهم جعلوا القرآن أعضاء، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين.

وقيل: جمع عضة، يقال عضة وعضين، مثل برة وبرين وعزة وعزين، وأصلها: عضهة ذهبت هاؤها الأصلية كما نقصوا من الشفة وأصلها شفهة بدليل: أنك تقول في التصغير: شفيهة، والمراد بالعضة الكذب والبهتان[2] أ هـ.

(١) انظر تفسيره: ١٤/ ٤٤ .

(٢) انظر تفسيره: ٣ / ٣٩٤ .

٧٨- قوله تعالى : ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ الحجر: ٩٥

بينه قوله –سبحانه–: ﴿الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون﴾[١]. بين سبحانه أن هؤلاء المستهزئين من المشركين.

قال الزجاج: أعلم الله أنهم مـــن المشركين بقوله: ﴿الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر﴾[٢]أهـ.

قال أبو السعود: وصفهم بذلك تسلية لرسول الله ﷺ– وتهويناً للخطب عليه بإعلام أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء به –عليه الصلاة والسلام– بل اجترءوا على العظيمة التي هي الإشراك بالله –سبحانه[٣]أهـ.

٧٩- قوله تعالى: ﴿إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾ النحل: ٢٧

بين–سبحانه–المراد بالكافرين هنا بقوله: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾[٤]. فالمراد بهم من يموت على كفره، ويلقى الله بذلك.

قال ابن جرير: يقول –تعالى ذكره–: ﴿قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء﴾ على من كفر بالله فجحد وحدانيته (الذين تتوفاهم الملائكة) يقول: الـــذين تقبض أرواحهم الملائكة (ظالمي أنفسهم) يعني وهـــم على كفرهم وشركهم بالله[٥] أهـ.

---

(١) الحجر: ٩٦ .

(٢) معاني القرآن: ١٨٧/٣ .

(٣) تفسيره: ٩٢/٥. وانظر التحرير والتنوير: ٩٠/١٤

(٤) النحل: ٢٨ .

(٥) تفسيره: ١٤/ ٦٨ .

وقال أبو السعود: والموصول في محل جر على أنه نعت للكافرين أو بدل منه أو في محل النصب أو الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره إلى حين الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره. أي: على الكافرين المستمرين على الكفر إلى أن يتوفاهم الملائكة (ظالمي أنفسهم) أي: حال كونهم مستمرين على الكفر فإنه ظلم منهم لأنفسهم، وأي ظلم، حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا[١] أهـ.

وعلى ما ذكرت عامة أهل التفسير، ومنهم ابن جرير[٢]، والبغوي[٣]، والقرطبي[٤]، وابن عطية[٥]، وابن كثير[٦]، وأبو حيان[٧]، وأبو السعود[٨]، والشوكاني[٩]، كل أولئك يرون أن الآية في قوم كافرين.

وقال بعض المفسرين: هذه الآية نزلت في قوم أسلموا بمكة فلما هاجر النبي ﷺ لم يهاجروا فمكثوا مع الكفار حتى قتلوا في بدر[١٠].

وقال ابن عاشور: والوجه أن: (الذين تتوفاهم الملائكة) بدل من (الذين)

(١) تفسيره: ٥/ ١٠٩ .

(٢) انظر تفسيره: ١٤/ ٦٨ .

(٣) انظر تفسيره: ٥/ ١٦ .

(٤) انظر تفسيره: ١٠/ ٩٩ .

(٥) انظر تفسيره: ٣/ ٣٨٩ .

(٦) انظر تفسيره: ٢/ ٥٨٨ .

(٧) انظر تفسيره: ٦/ ٥٢٢ .

(٨) انظر تفسيره: ٥/ ١٠٩ .

(٩) انظر تفسيره: ٣/ ١٩٢ .

(١٠) انظر تفسيرالسمعاني: ٣/ ١٦٨ .

في قوله تعالى : ﴿فالذين لايؤمنون بالآخرة﴾ أو صفة لهم، كما يومئ إليه وصفهم في آخر الآية بالمتكبرين في قوله: ﴿فلبئس مثوى المتكبرين﴾ فهم الذين وصفوا فيما قبل بقـــوله تعالى : ﴿وهم مستكبرون﴾ وما بينهما اعتراض [1].

٨٠– قوله تعالى : ﴿ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾ النحل: ٣٠

بين الله – تبارك وتعالى – ذلك بقوله: ﴿جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون﴾[2] فدار المتقين هي جنات عدن التي ذكر الله صفتها في هذه الآية. قال البغوي: ثم فسرها فقال: ﴿جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين﴾[3] أهـ.

وقال الزجاج: وقوله: ﴿ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾ المعنى: ولنعم دار المتقين دار الآخرة، ولكن المبين لقوله: ﴿دار المتقين﴾ هو قوله: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ وهي مرفوعة بإضمار (هي) كأنك لما قلت: ﴿ولنعم دار المتقين﴾ على جواب السائل، أي دار هي هذه الممدوحة؟ فقلت: جنات عدن يدخلونها[4]أهـ.

٨١– قوله تعالى : ﴿كذلك يجزي الله المتقين﴾ النحل: ٣١

بينه قوله تعالى : ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾[5] فالمتقون هم الذين يموتون على الإيمان، وهم درجات في ذلك.

---

(١) انظر تفسيره: ١٤/ ١٣٨ .

(٢) النحل: ٣١.

(٣) انظر تفسيره: ٥/١٧.

(٤) معاني القرآن: ٣/ ١٩٦ .

(٥) النحل: ٣٢ .

قال ابن جرير: يقول –تعالى ذكره – كذلك يجزي الله المتقين الذين تقبض أرواحهم ملائكة الله وهم طيبون بتطييب الله إياهم بنظافة الإيمان وطهر الإسلام في حال حياتهم وحال مماتهم[١] أهـ .

وقال البغوي: مؤمنين طاهرين من الشرك[٢] أهـ.

٨٢– قوله تعالى : ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ النحل: ٦٦

بين – تبارك وتعالى– هذه العبرة بقوله: ﴿نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ .قال ابن عاشور: وجملة﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ واقعة موقع البيان لجملة ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾[٣] أهـ.

وكذا قال الزمخشري[٤]، وأبوالسعود[٥]، والشوكاني[٦].

قال ابن كثير: وقوله: ﴿من بين فرث ودم لبناً خالصاً﴾ أي: يتخلص (اللبن)[٧] بيـــاضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في باطن الحيوان فيسري كل إلى موطنه إذا نضج الغذاء في معدته، فيصرف منه دم إلى العروق، ولبن إلى الضرع، وبول إلى المثانة، وروث إلى المخرج، وكل منهما لايشوب الآخر ولايمازجـــه بعـــد انفصاله عنه ولايتغير به[٨] أهـ.

(١) انظر تفسيره: ١٤/ ٧٠ .

(٢) انظر تفسيره: ٥/ ١٧٥ .

(٣) انظر تفسيره: ١٤/ ١٩٩ .

(٤) انظر تفسيره: ٢/ ٣٣٤ .

(٥) انظر تفسيره: ٥/ ١٢٤ .

(٦) انظر تفسيره: ٣/ ١٧٩ .

(٧) في تفسيره: الدم والصواب ما أثبته .

(٨) انظر تفسيره: ٢/ ٥٦٩ .

قلت: سبحان من خلص هذا من هذا، وجعل هذا أبيض ناصع البياض حلواً مستطاباً، وجعل هذا أحمر قانياً مكروهاً، وجعل ذلك نتناً مقززاً.

ولو اجتمع الثقلان بما أوتوا من تقنيات وعلم لما استطاعوا أن يفصلوا اللبن من غيره.وقوله: (مما في بطونه)، في سورة المؤمنون: (مما في بطونها)[1].

فتذكيره على أنه اسم مفرد على وزن أفعال، كقولهم: ثوب أكياش[2] وتأنيثه لأن معناه جمع[3].

قال الزمخشري: ويجوز أن يقال: في الأنعام وجهان:

أحدهما: أن يكون تكثير نعم كأجبـــال في جبل. وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع كنعم، فإذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله:

في كل عام نعم يحوونه يلقحه قوم وينتجونه[4].

وإذا أنث ففيه وجهان أنه تكسير نعم وأنه في معنى الجمع [5] أهـ.

٨٣- قوله تعالى : ﴿ضرب الله مثلاً﴾ النحل: ٧٥

بينه –سبحانه– بقوله: ﴿عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون﴾. قال الشوكاني: فقوله: ﴿عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾ تفسير للمثل وبدل منه[6] أ هـ.

(١) المؤمنون: ٢١ .

(٢) الأكياش من برود اليمن . انظر اللسان مادة (كيش) .

(٣) انظر الكشاف: ٢ / ٣٣٤ .

(٤) البيت لقيس بن حصين الحارثي .

انظر لسان العرب مادة (نعم)، والمخصص: ١٩/١٧، ومعجم شواهد العربية ص٥٤٩.

(٥) انظر الكشاف: ٢/ ٣٣٤ .

(٦) انظر تفسيره: ٣/ ١٨٤ .

وكذا قال أبو السعود[١]، وغيره[٢].

واختلف المفسرون في المضروب له المثل على قولين:

الأول: أنه مثل ضربه الله لنفسه وللصنم، فقوله: (عبداً مملوكاً) أراد به الصنم. وقوله: ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾ ضربه مثلاً لنفسه على أنه الجواد الرازق الذي يعطي من حيث يعلم العبد ومن حيث لايعلم. قاله مجاهد والضحاك[٣]، ورجحه الزجاج[٤]، وابن القيم[٥]. واستدلوا بظاهر الآية، لسبق ذكر الأصنام[٦].

القول الثاني: أنه مثل مضروب للكافر والمؤمن قاله قتادة[٧]، ورجحه ابن جرير[٨]، والبغوي[٩]. قالوا: لأن الصنم لايسمى عبداً [١٠].

قلت والظاهر القول الأول؛ لأن الآيات تتحدث عن العبادة وتشنع على المشركين اتخاذهم أرباباً من دون الله كما قال تعالى في الآيتين اللتين قبلها: ﴿ويعبدون من دون الله ما لايملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولايستطيعون فلا تضربوا

(١) انظر تفسيره: ٥/ ١٢٩ .

(٢) انظر الألوسي: ٧/ ١٩٥ .

(٣) انظر السمعاني: ٣/ ١٨٩، وابن كثير: ٢/٦٠٠ .

(٤) انظر معاني القرآن: ٣/٢١٣ .

(٥) انظر مفتاح دار السعادة: ٤١٠ .

(٦) انظر تفسير السمعاني : ٣/ ١٨٩ .

(٧) انظر ابن جرير: ١٤/ ١٠٠، وتفسير المسعاني: ٣/١٨٩ .

(٨) انظر تفسيره: ١٤/ ٩٩ .

(٩) انظر تفسيره: ٥/ ٣٣ .

(١٠) انظر تفسير السمعاني : ٣/ ١٨٩ .

لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [1].

أما قولهم (إن الصنم لا يسمى عبداً) فغير وارد؛ لأنه لم يسم عبداً هنا بل المسمى عبداً نظيره في المثل.

٨٤- قوله تعالى : ﴿وضرب الله مثلاً ﴾ النحل: ٧٦

بين هذا المثل قوله: ﴿رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾.

قال أبو السعود: ﴿وضرب الله مثلاً﴾ أي: مثلاً آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه أوضح وأظهر، وبعدما أبهم ذلك لتنظر النفس إلى وروده وتترقبه حتى يتمكن لديها عند وروده، بُين فقيل: ﴿رجلين أحدهما أبكم﴾[2] أهـ .

وقال الشوكاني: (رجلين) بدل من مثل وتفسير له[3] أ هـ.

واختلفوا في الممثل له على أقوال أشهرها اثنان.

الأول: قاله مجاهد ورجحه البغوي[4]، والزجاج[5]، وابن القيم[6]، وابن عطية[7]، وابن جرير[8]. أنه مثل للصنم والحق –تبارك وتعالى.

---

(١) النحل: ٧٣-٧٤ .

(٢) انظر تفسيره: ٥/ ١٣٠ .

(٣) انظر تفسيره: ٣/ ١٨٥ .

(٤) انظر تفسيره: ٥/ ٣٣ .

(٥) انظر معاني القرآن: ٣/ ٢١٤ .

(٦) انظر مفتاح دار السعادة: ٤١٣-٤١٤ .

(٧) انظر تفسيره: ٣/ ٤١١ .

(٨) انظر تفسيره: ١٤/ ١٠٠ .

الثاني: أنه مثل للمؤمن والكافر روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– من طريق ضعيف [١].

والراجح الأول لما تقدم في ترجيح المثل السابق. والله أعلم.

٨٥– قوله تعالى : ﴿وضرب الله مثلاً﴾ النحل: ١١٢

بينه قوله –سبحانه–: ﴿قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾.

واختلف المفسرون في المراد بها.

قال مجاهد وقتادة وابن زيد[٢] ورجحه ابن جرير[٣]، وابن كثير[٤] والزجاج[٥]، والقرطبي[٦] –: المراد بها مكة. وقيل: المدينة[٧].

وقال ابن عطية: وكذلك يتوجه عندي في الآية أنها قصد بها قرية معينة، جعلت مثلاً لمكة على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة[٨]أهـ.

وجوز هذا الزمخشري[٩].

---

(١) انظر تفسير ابن جرير : ١٤/ ١٠٠ .

(٢) انظر أقوالهم في تفسير ابن جرير: ١٤ /١٢٥.

(٣) انظر تفسيره: ١٤/ ١٢٤ .

(٤) انظر تفسيره: ٢/ ٦١٠ .

(٥) انظر معاني القرآن: ٣/ ٢٢١ .

(٦) انظر تفسيره: ١٠/ ١٩٤ .

(٧) انظر تفسير ابن جرير : ١٤/ ١٢٥ .

(٨) انظر تفسيره: ٣/ ٤٢٦ .

(٩) انظر تفسيره: ٢/ ٣٤٩ .

الخـــاتـــمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم الله به الرسالات أما بعد.

فقد ظهر لي من خلال الكتابة في هذا الموضوع نتائج أهمها ما يأتي:

١– أهمية هذا الموضوع – لأنه من تفسير القرآن بالقرآن – ولايخفى ما لهذا التفسير من مكانة علية، حيث إنه لا أعلم من المتكلم بمراده.

٢– أن هذا الموضوع مع أهميته لم يؤلف فيه مؤلفٌ مستقل، بل إن الذين كتبوا في تفسير القرآن بالقرآن لم يتعرضوا له وكان جهدهم منصباً على ما كان بيانه في موطن آخر، مع أن بعض مفردات الآية قد يفسرُ في الآية نفسها أو في آيةٍ تاليةٍ لها.

٣– بعد الدخول في البحث والوقوف على مكانته وقيمته العلمية رأيت أنه حقيق بالإتمام وسأقومُ إن شاء الله بإخراج الجزء الثاني في بحث مستقل من أول سورة الإسراء إلى آخر القرآن الكريم.

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي له خالصاً إنه جوادٌ كريم، وأن يسددني في قولي وفعلي.. كما أسأله أن يوفق جميع المسلمين لما يحبه ويرضاه.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين..

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إرشاد العقل السليم لأبي السعود، دار إحياء التراث، ط الثانية.

٣- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية.

٤- أنوار التَنْزيل وأسرار التأويل. لأبي الخير عبدالله بن عمر البيضاوي. إعداد/ محمد عبدالرحمن المرعشلي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط الأولى ١٤١٨هـ.

٥- الأطعمة في أحكام الصيد و الذبائح للفوزان. ط الأولى.

٦- الإصابة في تمييز أسماء الصحابة. لابن حجر العسقلاني. دار الكتب العربية. بيروت.

٧- الأنساب للسمعاني، تحقيق عبدالله عمر البارودي، دار الجنان – دار الكتب العلمية ط الأولى.

٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر ط الثانية.

٩- البحر المحيط. لأبي حيان. نشر المكتبة التجارية. مكة المكرمة.

١٠- البداية والنهاية. لابن كثير. ت: د.أحمد أبوملحم وجماعة. دار الكتب العلمية. بيروت.

١١- تذكرة الحفاظ للذهبي – دار إحياء التراث العربي.

١٢- تفسير القرآن العظيم.لابن كثير.دار المعرفة بيروت. ط١، ١٤٠٧هـ.

١٣- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين. لابن أبي حاتم. ت: أحمد الزهراني. مكتبة الدار. دار طيبة. دار ابن

القيم، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٤- تفسير القرآن.لأبي المظفر السمعاني.ت: ياسر إبراهيم. دار الوطن. الرياض ط الأولى١٤١٨هـ.
١٥- تفسير النسفي. لأبي البركات عبدالله أحمد بن محمود النسفي. دار إحياء الكتب العربية.
١٦- تفسير غريب القرآن. لابن قتيبة. ت: أحمد صقر، دار الكتب العلمية بيروت. ط ١٣٩٨هـ.
١٧- تقريب التهذيب. لابن حجر العسقلاني. دار المعرفة، بيروت. ط الثانية ١٣٩٥هـ.
١٨- تهذيب التهذيب لابن حجر. دار الفكر بيروت ط الأولى ١٤٠٤هـ.
١٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، دار المدني بجدة طبعة ١٤٠٨هـ.
٢٠- التبيان في إعراب القرآن. للعكبري. ت: علي محمد البجادي. مكتبة ابن تيمية.
٢١- التحرير والتنوير. لابن عاشور. مكتبة العلوم والحكم. المدينة.
٢٢- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) لأبي عيسى الترمذي، مطبعة البابي الحلبي، ط الثانية.
٢٣- جامع البيان عن تأويل القرآن. للطبري. ت: محمود شاكر. مكتبة ابن تيمية. ط الثانية.
٢٤- الجامع الصحيح للإمام البخاري، دارالكتب العلمية.
٢٥- الجامع لأحكام القرآن. للقرطبي. مكتبة الرياض. ط الثانية.
٢٦- الحجة للقراء السبعة. للفارسي. ت: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي. دار المأمون للتراث. ط الأولى ١٤٠٤هـ.

٢٧- حجة القراءات. لابن زنجلة. ت: سعيد الأفغاني. مؤسسة الرسالة. ط الرابعة ١٤٠٤هـ.هـ.
٢٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. للسمين الحلبي. ت: الدكتور أحمد محمد الخراط. دار القلم. دمشق. ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٢٩- الدر المنثور في التفسير المأثور. للسيوطي. دار الكتب العلمية. بيروت ط الأولى ١٤١١هـ.
٣٠- روح المعاني للألوسي، دار الكفر.
٣١- زاد المسير في علم التفسير. لابن الجوزي. المكتب الإسلامي. بيروت. ط الرابعة ١٤٠٧هـ.
٣٢- سبل السلام، شرح بلوغ المرام للأمير الصنعاني، دار الكتاب العربي.
٣٣- سنن ابن ماجه. نشر المكتبة العلمية بيروت.
٣٤- سنن النسائي، بشرح السيوطي وحاشية السندي، دار الكتب العلمية.
٣٥- سير أعلام النبلاء. للذهبي. مؤسسة الرسالة. ط السابعة ١٤١٠هـ.
٣٦- شفاء العليل في مساء القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم. دار المعرفة.
٣٧- الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار إحياء العلوم – بيروت – ط الأولى.
٣٨- صحيح الترمذي للألباني، مكتبة المعارف.
٣٩- صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة قرطبة، ط الثانية.
٤٠- طبقات الحفاظ لأبي بكر السيوطي _ دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى.
٤١- طبقات الشافعية للأسنوى. ت: عبد الله الحيوري. ط ١٣٩٠هـ.
٤٢- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي، ط الأولى.

٤٣- طبقات المفسرين، للداوودي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة.
٤٤- العبر في خبر من غبر. للذهبي. ت: فؤاد سيد.
٤٥- غـــاية النهاية في طبقات القراء، لأبي الخير محمد بن محمد الجزري، دار الكتب العلمية. لبنان. ط الثالثة ١٤٠٢هـ.
٤٦- فتح العلام لشرح بلوغ المرام. لصديق حسن خان، دار الداعي ومركز العلامة عبدالعزيز بن باز بالهند ط الأولى.
٤٧- فتـــح القدير الجامـــع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني. دار الفكر. بيروت. ط ١٤٠٣هـ.
٤٨- لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت.
٤٩- مجاز القرآن لأبي عبيدة، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٥٠- مجالس شهر رمضان للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، طبعة وزارة الشئون الإسلامية.
٥١- مدارج السالكين. لابن قيم الجوزية. الكتب العلمية. ط الأولى.
٥٢- معالم التنْزيل. للبغوي. ت: محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم. دار طيبة. الرياض. ١٤٠٩هـ.
٥٣- معاني القرآن لأبي زكريا القراء. ت أحمد يوسف ومحمد علي. دار السرور.
٥٤- معاني القرآن وإعرابه. للزجاج. ت: الدكتور شلبي. عالم الكتب. بيروت. ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٥٥- معجم شواهد العربية، عبدالسلام هارون. مكتبة الغاني بالقاهرة. ط ١.
٥٦- معرفة القراء الكبار. للذهبي. ت: بشار عواد وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط الأولى ١٤٠٤هـ.
٥٧- مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والإرادة لابن القيم، مكتبة حميدو.

٥٨- نزهة الألباء في طبقات الأدباء. لابن الأنباري. ت/ الدكتور إبراهيم السمرائي. مكتبة المنار. الأردن. ط الثالثة ١٤٠٥هـ.
٥٩- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. لاسماعيل باشا. مكتبة ابن تيمية.
٦٠- وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر.
٦١- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية، ط الأولى.
٦٢- صحيح الترمذي للألباني. مكتبة المعارف.
٦٣- الطبقات الكبرى. لابن سعد. دار بيروت. ط ١٤٠٥هـ.
٦٤- العجاب في معرفة الأسباب. لابن حجر. دار ابن الجوزي، ط الأولى.
٦٥- الكشاف عن حقائق التنْزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري. دار المعرفة. بيروت.
٦٦- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب. ت الدكتور محي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة بيروت ط الرابعة ١٤٠٧هـ.
٦٧- المخصص لابن سيده. دار الكتب العلمية.
٦٨- المستدرك على الصحيحين للحاكم، دار الكتاب العربي.
٦٩- المغني في توجيه القراءات العشر. للدكتور محمد سالم محيسن، دار الجيل ومكتبة الكليات الأزهرية. ط الأولى.
٧٠- النكت والعيون. لأبي الحسن الماوردي. ت: السيد عبدالمقصود. دار الكتب العلمية. بيروت ط الأولى ١٤١٢هـ.
٧١- الوافي في شرح الشاطبية للقاضي. مكتبة السوادي ومكتبة الدار، ط الثالثة.

فهرس الآيات المفسرة

المقدمة ١٣

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره: ١٤
- المنهج المتبع في إخراج البحث. ١٤
- خطة البحث: ١٥

١- قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ الفاتحة: ٦ ..... ١٦

٢- قوله تعالى: ﴿هدىً للمتقين﴾ البقرة: ٢ ..... ١٧

٣- قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا﴾ البقرة: ٤٥ ..... ٢٠

٤- قوله سبحانه: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون﴾ البقرة: ٤٩ ..... ٢١

٥- قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين﴾ البقرة: ٦٢.. ٢٢

٦- قوله تعالى: ﴿يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين... ﴾ البقرة: ١٠٢.. ٢٣

٧- قوله تعالى : ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً ..﴾ البقرة: ١٢٦ .... ٢٥

٨- قوله تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني ...﴾ البقرة: ١٣٢ .... ٢٦

٩- قوله تعالى : ﴿وبشر الصابرين﴾ البقرة: ١٥٥ ..... ٢٨

١٠- قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام... ﴾ البقرة: ١٨٣ ... ٢٩

١١- قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية ﴾ البقرة: ١٨٤ ..... ٣٠

١٢-قوله تعالى : ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط ...﴾ البقرة: ١٨٧ ..... ٣٢

١٣- قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ البقرة: ١٨٩ ..... ٣٣

١٤- قوله تعالى : ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة...﴾ البقرة: ٢١٤ ..... ٣٤

١٥- قوله تعالى : ﴿ يسألونك ماذا ينفقون ﴾ البقرة: ٢١٥ ..... ٣٥

١٦– قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ البقرة: ٢١٧ ..... ٣٦
١٧– قوله تعالى: ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر﴾ البقرة: ٢١٩ ..... ٣٧
١٨– قوله تعالى : ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون ﴾ البقرة: ٢١٩ ..... ٣٨
١٩– قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن اليتامى﴾ البقرة: ٢٢٠ ..... ٣٩
٢٠– قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض ﴾ البقرة: ٢٢٢ ..... ٤٠
٢١– قوله تعالى : ﴿ فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ البقرة: ٢٢٢ ..... ٤١
٢٢– قوله تعالى : ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ...﴾ البقرة: ٢٦١ ..... ٤٢
٢٣– قوله تعالى : ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ... ﴾ آل عمران: ١٥ ..... ٤٤
٢٤– قوله تعالى : ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل ...﴾ آل عمران: ٤٩ ..... ٤٤
٢٥– قوله تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا ...﴾ آل عمران: ٦٤ ..... ٤٥
٢٦– قوله تعالى : ﴿فيه آيات بينات ﴾ آل عمران: ٩٧ ..... ٤٧
٢٧– قوله تعالى : ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ آل عمران: ٩٧ ..... ٥٢
٢٨– قوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ...﴾ آل عمران: ١٣٣ .... ٥٤
٢٩– قوله تعالى : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة﴾ آل عمران: ١٥٤ ..... ٥٥
٣٠– قوله تعالى: ﴿ يظنون بالله غير الحق﴾ آل عمران: ١٥٤ ..... ٥٦
٣١– قوله تعالى ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾ آل عمران: ١٥٤ ..... ٥٦
٣٢– قوله تعالى : ﴿وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ آل عمران: ١٧١ ..... ٥٧
٣٣– قوله تعالى : ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله ..﴾ آل عمران: ١٨١ ... ٥٨
٣٤– قوله تعالى : ﴿إن في خلق السموات والأرض ...﴾ آل عمران: ١٩٠ ..... ٥٩
٣٥– قوله تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ...﴾ النساء: ٧ ... ٦١
٣٦– قوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾ النساء: ١١ ..... ٦٢

٣٧– قوله تعالى: ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين ...﴾ النساء: ٩٥ ..... ٦٢
٣٨– قوله تعالى : ﴿ يسألونك ماذا أحل لهم ﴾ المائدة ٤ ..... ٦٤
٣٩– قوله تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ المائدة: ٥٥ ..... ٦٧
٤٠– قوله تعالى : ﴿ ثم عموا وصموا ﴾ المائدة: ٧١ ..... ٦٨
٤١– قوله تعالى : ﴿ أو كفارة ﴾ المائدة: ٩٥ ..... ٦٩
٤٢– قوله تعالى : ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي ..﴾ المائدة: ١١٠ .. ٦٩
٤٣– قوله تعالى : ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به﴾ المائدة: ١١٧ ..... ٧٠
٤٤– قوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءوك يجادلونك﴾ الأنعام: ٢٥ ..... ٧١
٤٥– قوله تعالى : ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ الأنعام: ٥٤ ..... ٧١
٤٦– قوله تعالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً﴾ الأنعام: ١١٢ ..... ٧٣
٤٧– قوله تعالى : ﴿ومن الأنعام حمولةً وفرشاً﴾ الأنعام: ١٤٢ ..... ٧٤
٤٨– قوله تعالى : ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم...﴾ الأنعام: ١٦١ .. ٧٥
٤٩– قوله تعالى : ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ الأعراف: ٤٤ .. ٧٦
٥٠– قوله تعالى ﴿قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ الأعراف: ٥٠ ..... ٧٧
٥١– قوله تعالى : ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه ... ﴾ الأعراف: ٧٥ ..... ٧٧
٥٢– قوله تعالى : ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ...﴾ الأعراف: ٨٠ .... ٧٨
٥٣– قوله تعالى: ﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم..﴾ الأعراف: ١٤١ .. ٧٩
٥٤– قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة﴾ الأعراف: ١٨٧ ..... ٨٠
٥٥– قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ الأنفال: ١ ..... ٨١
٥٦– قوله تعالى : ﴿ يوم الفرقان ﴾ الأنفال: ٤١ ..... ٨٢
٥٧– قوله تعالى : ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم﴾ الأنفال: ٥٢ ..... ٨٢

٥٨– قوله تعالى : ﴿والذين يكنِزون الذهب والفضة ولا ينفقونها .﴾ التوبة: ٣٤ ... ٨٣
٥٩– قوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ...﴾ التوبة: ١١١ ..... ٨٥
٦٠– قوله تعالى : ﴿كذلك حقّت كلمة ربك على الذين فسقوا﴾ يونس: ٣٣ ..... ٨٧
٦١– قوله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ...﴾ يونس: ٦٢ ..... ٨٨
٦٢– قوله تعالى : ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن ...﴾ هود: ١ .... ٨٨
٦٣– قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين﴾ هود: ٥٢ .... ٩٠
٦٤– قوله تعالى : ﴿وتمّت كلمة ربك ﴾ هود: ١١٩ ..... ٩١
٦٥– قوله تعالى : ﴿وشروه بثمن بخس﴾ يوسف: ٢٠ ..... ٩٢
٦٦– قوله تعالى : ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾ يوسف: ٧٧ ..... ٩٣
٦٧– قوله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي﴾ يوسف: ١٠٨ ..... ٩٤
٦٨– قوله تعالى : ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ الرعد: ١٩ ..... ٩٦
٦٩– قوله تعالى : ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ الرعد: ٢٧ ..... ٩٧
٧٠– قوله تعالى : ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ إبراهيم: ١ ..... ٩٨
٧١– قوله تعالى : ﴿الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ إبراهيم: ٢ ..... ٩٩
٧٢– قوله تعالى: ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ إبراهيم: ٢ ..... ١٠٠
٧٣– قوله تعالى : ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد ﴾ إبراهيم: ٩ ... ١٠١
٧٤– قوله تعالى : ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً ﴾ إبراهيم: ٢٤ ..... ١٠٣
٧٥– قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا ﴾ إبراهيم: ٢٨ .. ١٠٥
٧٦– قوله تعالى : ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين﴾ الحجر: ١٢ ..... ١٠٦
٧٧– قوله تعالى : ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ الحجر: ٩١ ..... ١٠٨
٧٨– قوله تعالى : ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ الحجر: ٩٥ ..... ١١٠

٧٩- قوله تعالى: ﴿إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾ النحل: ٢٧ ..... ١١٠
٨٠- قوله تعالى : ﴿ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾ النحل: ٣٠ ..... ١١٢
٨١- قوله تعالى : ﴿كذلك يجزي الله المتقين﴾ النحل: ٣١ ..... ١١٢
٨٢- قوله تعالى : ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ النحل: ٦٦ ..... ١١٣
٨٣- قوله تعالى : ﴿ضرب الله مثلاً ﴾ النحل: ٧٥ ..... ١١٤
٨٤- قوله تعالى : ﴿وضرب الله مثلاً ﴾ النحل: ٧٦ ..... ١١٦
٨٥- قوله تعالى : ﴿وضرب الله مثلاً﴾ النحل: ١١٢ ..... ١١٧
الخـــاتـــمة ١١٨
المصادر والمراجع ١١٩
فهرس الآيات المفسرة ١٢٤